صندوق الـ.. لا شيء

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : صندوق الـ.. لا شيء
اسم المؤلف: أحمد أبو سيف
التدقيق اللغوي: ريها مصطفى
تصميم الغلاف: يوسف السيد
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ٣٠٩٧٣ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٦٣٣-٨٢٥٤-١٥-٥

مَسَار للنشر و التوزيع
شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر
01020439639
massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

صندوق الـ.. لا شيء

أحمد أبو سيف

مَسَار
للنشر و التوزيع

المطبخ هو المكان الوحيد الذي أشعرني بالإنتماء إليه، ولقد أحببت كل دقيقة فيه.. أحببت الحرارة المنبعثة.. وضغط العمل الذي نمارسه على بعضنا البعض.. وأحببت العنف.

2015 Burnt -

العضو الخفي..

ذات صباح استيقظ "كريم الحصري" الشاب العامل فى إحدى الفنادق السياحية من نومه فوجد نفسه – بشكل مفاجىء، وبلا أي مقدمات– لا يملك عضواً ذكرياً.. وضع يده على خصره ليتفقد المنطقة التى كانت يوماً ما مأهولة فلم يجد شيئاً "يوم أسود هو هذا! أين ذهب؟" جملة همس بها لنفسه. لم يكن يحلم وليس فى الأمر خدعة من أي نوع ان المنطقة من أسفل سرته وحتى فتحة مؤخرته خالية تماماً وممسوحة مسحاً كما الحائط، لم تستبدل بعضواً انثوياً ولم تزال بطريقة طبية إذ ليس فيها أي غرز أو جرح بل إنها مغلقة غلقاً تاماً وتبدو كما لو أنها كانت على الدوام هكذا أو أنه مولود بها وهو الذي لا يعلم. قام من رقدته مفزوعاً، راح يبحث عن فقيده فى الأماكن المحيطة حوله؛ نظر أسفل المخدة والملاية والسرير فلم يجد ما كان يرجو إيجاده. "أين ذهب؟" هكذا قال لنفسه، قالها بحسرة بالغة، قالها بوجه طفل صغير يوشك على البكاء. زحف على الأرضية كما تزحف السحالي فجاء زحفه متسرعاً ومتهوراً بعد أن اختفت منطقته الحساسة وبدا فى زحفه كما لو أن ليس لديه عضو يخاف عليه ما زاد حسرته أكثر وأكثر فاشتدت ضراوته فى البحث وكاد أن يقلب بلاط الشقة نفسه لينظر أسفل منه.. وضع

يديه فى جيوبه كمن يبحث عن مفاتيحه الضائعة ومزق الجيوب تمزيقاً حينما وجدها فارغة، ثم مزق البنطال.. وتيشرته كذلك، ومزق الفانلة الحمالات الداخلية، ولم يبقى على جسده كله غير البوكسر والشراب، خلع الشراب.. نظر داخله ثم مزقه وألقى به، رفع الطرف الأمامي من أستيك البوكسر ونظر، طال نظره لفترة... ثم صرخ بأعلى صوته: يا أمي.. أرسلي إلي "حوده".

دخل عليه أخيه الصغير "محمود" فوجده أمامه، جذبه "كريم" من رقبته بغلظة وأغلق خلفه الباب، رفع بنطال أخيه ونظر فوجد الشيء... مكانه، متدلياً كالشتلة الصغيرة... مما يعني أن اللعنة حلت عليه وحده ولم تجيء لكل أهل الأرض، بل لم تجيء لأخيه الصغير الذي يسكن فى غرفة مجاورة، ولا يفصله عنه سوى حائط؛ فكرة كتلك قادرة أن تبعث فيه شعوراً بالارتياح لو حدثت.. فكرة أن يكون المصاب مصاب الجميع، ولم يقع عليه وحده من دونهم، لكنه وللأسف.. واهم. جذب أخيه نفس جذبته الأولى - وهو لا يعلم بالتحديد ما يحدث- ثم ألقى به خارج الغرفة. صفع نفسه بهوان عدة مرات كي يفيق ثم أعاد فتح البوكسر ونظر فوجدها ممسوحة "تماماً كالمسطرة" هذا ما ظل يردده، صفع نفسه مرة ثانية صفعات متعددة ولكن تلك المرة ازداد الصفع قوة؛ وكذلك.. مسطرة.

بحث عن هاتفه الذكي، وجده وسط الأشياء.. أمسك به، أسرع إلى خانة البحث وشرع يكتب ويقرأ مرة تلو المرة... وكان المقال التالي هو أكثر ما استدعى انتباهه، وقد صادفه على موقع "الجزيرة نت"

(زراعة عضو بكامل الوظائف الجنسية

تمكن فريق جراحين من كلية الطب بجامعة جونز هوبكنز الأميركية من زرع قضيب بأكمله وكيس صفن وأجزاء على جدار البطن من ضحية متوفاة إلى أحد الأحياء، في عملية استغرقت ١٤ ساعة تعتبر الأكثر شمولية لأنها تطلبت نقل الجلد والعضلات والأوتار والأعصاب والعظام والأوعية الدموية.

يُشار إلى أن العملية أجريت لمحارب قديم، فضل عدم ذكر اسمه، أصيب بعبوة ناسفة في أفغانستان، وهذه الإصابات كثيرة الحدوث للجنود وتؤثر في الجزء السفلي للجسم وتترك آثارا نفسية جمة للمريض. وقد تعافى المريض ومن المقرر أن يغادر المستشفى هذا الأسبوع.

ومن الشائع بالنسبة لأولئك الذين يفقدون أطرافهم السفلية في مثل هذه الانفجارات أنهم يعانون أيضا من إصابات في أعضائهم التناسلية.

ووفقا لإحدى الدراسات التي نشرت في دورية جراحة المسالك البولية، فقد أصيب عدد غير مسبوق من الجنود الأميركيين إصابات

في الأعضاء التناسلية أثناء انتشارهم في حرب العراق. ويصف التقرير هذه الإصابات بأنها "مدمرة بشكل فريد" ويقول إن الضحايا الشباب معرضون بشكل خاص لخطر الانتحار.

ويعتقد الفريق أن العضو المزروع سوف يعمل بكامل طاقته وأن تكون الوظائف الجنسية والبولية شبه طبيعية. ولكن بسبب المخاوف الأخلاقية لم يتم زرع الخصيتين، ومن ثم لن يكون المريض قادرا على الإنجاب.

وكانت هناك حلول أخرى مطروحة لإعادة بناء العضو، لكن الأمر كان من الممكن أن يحد من الأداء الجنسي للمريض، إذ إن تحقيق الانتصاب دون زرع كان سيتطلب استخدام طرف صناعي مما يزيد من خطر العدوى.

يُذكر أن أول عملية زراعة للعضو ناجحة في العالم تمت في جنوب أفريقيا عام ٢٠١٥. أما أول عملية زراعة عضو ناجحة في الولايات المتحدة فقد كانت عام ٢٠١٦ بمستشفى ماساتسوشتس العام، وقد استغرقت العملية ١٥ ساعة وشارك فيها أكثر من خمسين طبيبا من أقسام مختلفة متعددة.)

ووسط انهماكه فى قراءة المقال توالت عليه الرسائل من صديقه

"حسام رمضان"

حسام: سوف أجن يا حصري..

استيقظت اليوم و.. و

كتب إليه كريم: وماذا؟

حسام: لا أعرف كيف أقول ذلك، الموضوع يفوق طاقتي على الإحتمال ولا يمكن البوح به... يداي ترتعشان الآن ولست أستطيع الكتابة إليك إلا بصعوبة بالغة.. إن ما حدث هو..

قاطعه "كريم" برسالة عاجلة: فقدت عضوك الذكري؟

كتب كريم تلك الرسالة بشيء من المخاطرة وكله أمل.. والمخاطرة هنا فى أن يكتشف أمره على يد صديقه فيكون بذلك قد أفشى سره الذي لا ينبغي أن يعلمه أحد، أما الأمل فهو لأنه أحس كما لو أنه ليس فى هذا وحده.. وأمله لم يذهب سدى حيث جائت رسالة "حسام" التالية لتؤكد.

حسام: الأمر حدث لك؟

كريم: نعم حدث لى... حالي ليس أفضل من حالك.. أنا أيضاً قد أجن.

حسام: لماذا أنا وانت فقط من العالمين!

تلك اللعنة لم تصب غيرنا... !

كريم: صحيح.

للحظة انهمك كريم فى التفكير، وانهالت رسائل حسام بغزارة كما لو كان يرسلها بخاصية "قص ولصق" وليس يكتب.

حسام: لقد تأكدت اليوم.. رأيت والدي يهرش بعد استيقاظه! وأخي دخل دورة المياه أمام عيناي ولبى نداء الطبيعة.. أصخت السمع خلفه فسمعت خرير الماء المعتاد، الناس جميعاً يملكونه ماعداي.. والآن تقول أنت..!

الناس جميعاً محافظين على روتينهم اليومي، ولا أحد منهم يبالي بشيء، لو أصابهم ما أصابنا ما كان ليخرج أحد منهم من البيت.. ما السبب؟

فكر كريم قليلاً ثم أجاب إجابة واثقة كتبها وأرسلها إليه: لقد كنت أقلب ما سأقوله لك الآن فى رأسي منذ استيقظت.. لم أتأكد أنه السبب الحقيقي إلا بعدما رأيت رسائلك..

إن السبب الذي لأجله أصابنا ما أصابنا..

حسام: ماهو يا حصري؟

كريم: هو الحديث الذي دار بيننا بالأمس... ساعة ما رفعت يدي إلى السماء وقلت أتمنى أن يحدث معي كذا وكذا.. ورددت أنت خلفي أنك تتمنى الشيء ذاته تتذكر ذلك؟

حسام: نعم أتذكر... ولكن كان هذا مزاحاً!

كريم: لديك سبب آخر أفضل؟

حسام: ...

هكذا كتب "كريم الحصري" إلى صديقه "حسام رمضان" ثم نظر إلى جزءه السفلي.. كيف عساه يعيش الآن بعدما فقد ما فقد؟ ولماذا عساه يعيش؟ ولأي شيء يعيش؟ ان الحياة تبدو أنها فقدت بريقها فجأةً، والمعاني جميعاً تتساقط مثل أحجار الدومينو المتراصة، والآمال التى عاش عليها قبل ذلك تزول.. شقته التى يجهزها وهي الآن على المحارة ليست بنفس ذات أهميتها كما كان الحال عليه بالأمس، خطيبته التى تمطره الآن برنات متتالية لكي تسمعه صوتها فى الصباح مثلما يحب ولتوقظه أيضاً لا يشعر بأي انجذاب نحوها ولا رغبة لديه فى الرد، المومس التى يحين موعد لقاءه بها عشية اليوم بعد انتهاء نوبة العمل قد خلا قلبه من كل الافتتان الذي كنه نحوها قبل أن ينام. قلبه بارد،

جسده بارد.. عقله نشط وتلتمع داخله فكرة واحدة وعلى مايبدو أنه سوف يقرر تنفيذها.. والفكرة هي "الإنتحاار".

الإنتحار فى هدوء تام "من غير وش" اقترب من الدولاب، جذب تيشرتاته، عقدها جيداً فى بعضها البعض، ثم على عجالة جذب الكرسي.. صعد عليه، ربط حبل تيشرتاته فى مروحة السقف التى تتوسط الغرفة، وأحكم بعد ذلك ربطه على عنقه.. وأخيراً كلمة ارتجالية جائته من حيث لا يدري "يا زينة الحياة، ليس بعدك إلا الممات.. بسم الله" وقفز، اقتحمت والدته الغرفة على إثر الجلبة التى أحدثها سقوطه..

– عدت تلعب رياضة فى غرفتك مرة ثانية؟ احجز فى صالة رياضية يا حبيبي ولا تقرفنا.

الصغير "محمود" إلى جانبها يضحك ضحكاً شديداً وهي كذلك تضحك، خرجا وأغلقا عليه باب غرفته، ولا زالت ضحكاتهم الرنانة ترن فى الحوائط الأربعة بلا توقف؛ ذلك لأنه يبدو عليهما لم يتوقفا عن الضحك بعد ولن يفعلا ذلك فى وقت قريب. ظل كريم على الأرض دون أن يتحرك.. فقط يده على شيئه المفقود وعيناه نحو السراب شاخصتان. وإذ هو فى خلوته تلك يفكر أو ليس هو يفكر –لا يمكن أن يجزم أحد على وجه التحديد– إحتمال كبير أن يكون قد لجأ من غلواء أفكاره أو كما يسميها (الكلاب التى تنهش الرأس) إلى غرفة

ال (nothing box) الآمنة.. وترجمتها (صندوق اللاشيء)؛ وصندوق اللاشيء هذا معناه أن يجلس الرجل صامتاً ومسترخياً وهادئاً لا يفكر فى شيء ولا ينظر بالضرورة إلى شيء، وهي حالة نادرة يتوقف فيها نشاط الدماغ لحظياً، وصندوق اللاشيء كذلك يعتبر منطقة مريحة نفسياً وعصبياً يلجأ إليها الرجال من وقت لآخر، وهي خاصية لحكمة إلهية لا تتوفر لدى النساء كون أدمغتهم فى نشاط دائم ولا تعمل بنفس عمل أدمغة الرجال. لدى صديقه "حسام رمضان" معرفة واسعة وقد سأله "كريم" عن تلك المعلومات حينما صادفها فى مقال على واحد من مواقع التواصل الإجتماعي فأجازها حسام له وأكد أنها منشورة حديثاً على كبرى المواقع العلمية مثل "science" و "nature".. لدى "حسام رمضان" معرفة واسعة لكثرة قراءاته واضطلاعه، هو بحق دودة كتب، وليس أي دودة والسلام وإنما دودة عملاقة. وإذ كريم جالساً على أرضية غرفته يعصف برأسه التفكير لحظات، ولحظات أخرى يغشاها صندوق اللاشيء بسكينته وهدوءه.. سقطت مروحة السقف على رأسه وذهبت به إلى نوم عميق.

...

فى نومه كان شهرياراً، ملك بحجم الكون وسلطان معظم.. الخدم، والحشم، والأكل، والشراب، والأموال، والنساء، خاصةً النساء!..

وقصر ذو قباب أعلى من أعلى القمم، قباب هي من العلو بحيث ينكر من يراها أنها من عصور موغلة فى القدم إذ ليس يستطيع تشييدها غير علم حديث فى عصر حديث، داخل القصر يتكىء هو على سرير فى غرفة من الغرف، يقف خارجها السياف وسيفه عظيم، جثته ضخمة، عروقه نافرة، رأسه غليظ، وكرشه بارزة مع كل إلتفاتة تترجرج.. إلى يمين السياف منحدر تتساقط منه جثث فتيات عذراوات، وإلى يساره صف من الفتيات يبدأ من باب الغرفة ونزولاً على سلالم القصر ويمر عبر الغابات المحيطة به إلى أقرب قرية فى الجوار، يصفق "كريماً" أو "شهرياراً" بيديه وينادي "التالية" أو "اللي بعده" فيناوله السياف فتاة ويأخذ منه فتاة، الداخلة مجهولة.. والخارجة مقتولة، ضربة سيف واحدة يوجهها السياف فيطيح الجسد من أعلى المنحدر ويطير الرأس، كل فتاة تدخل عليه يداعبها مرتدياً كل ملابسه مداعبات سطحية إلى أن ينتهي منها فيلجأ لأخرى.. الفتيات يقتلهن شهرايراً لأنه قد ذاق الخيانة مرة ولا يريد تكرار التجربة مرة ثانية "هذا ما روج له فى مملكته وساعد على انتشاره" وما هو إلا حديث مغاير للحقيقة تماما، الحقيقة التى لا يريد لأحد اكتشافها، حقيقة أنه –دوناً عن كل الخلق– لا يملك عضواً ذكرياً. دخلت الفتاة تلك المرة وفى ذهنها أنها وان فعلت شيئاً مغايراً لن تموت ميتة من سبقوها من الفتيات، إسمها الذي سألها عليه وأجابت

هو "شهرزاد" تقدمت "شهرزاد" نحوه بجرأة بالغة، لم تبالي بتحفظه ولم تبالي بتعليماته، وسريعاً مدت يدها إلى شيئه فلم تقبض يدها إلا على عدم.. فافتضح أمره، وهنا استيقظ.

...

تحسس رأسه، الألم فيها يحرقه كما تحرق كرة من نار ولكنها لا تدمي، المروحة التى أفقدته وعيه ملقاه على بعد متر منه على الأرض، تتوقف حركتها أمامه، وعلى مايبدو أنها قد كانت إلى الآن تدور ما يعني أن غفوته وحلمه لم يأخذا من الوقت غير ثوانيات معدودة، شيء غريب جداً؛ ومرد الغرابة فيه أن حلماً يجيء ويظنه المرء حياة كاملة أو هو تجربة تعدل حياة كاملة لا يأخذ من الزمن إلا عدد قليل من الثواني. هذا ان أطلقنا على ما مر به الآن كلمة حلم إذ ليس هو بحلم، وإنما كابوس أطبق على صدره فليس يستطيع بعده -منذ استيقظ وإلى الآن- التنفس. ألف فتاة وفتاة تدخل عليه، ومع كل واحدة تدخل... عليه أن يأخذ الحذر الكامل منها كي لا يفتضح أمره وهو لا محالة مفضوح، فإن أي حركة غير لائقة تصدر من فتاة ما -كما حدث مع شهرزاد فى نهاية الكابوس- سوف تفضحه أمام الخلق جميعاً وفضيحته تكبر وتنتشر لمدى غرابتها وتصير بجلاجل.. أي نعم هي فى النهاية تموت، ومع ذلك منذ يناولها له السياف وحتى يعيدها إليه فيطير رأسها من أعلى

القصر ويطير جسدها يتوجب ألا يدعها تكتشف شيئاً لأن صرخة واحدة منها ليست فى محلها أو همسة يسمعها منها الفتيات من شأنها أن تخلق فى صفهن اضطراباً، ودندنات تنتشر بينهم ويتناقلنها عبر الصف فتموج بينهم موجاً من باب الغرفة، ونزولاً على سلالم القصر، وعبر الغابات المحيطة به إلى أقرب قرية فى الجوار فيسمعها الناس وتسمعها كل المملكة، ومن المملكة إلى الممالك الصغيرة المحيطة بها، وإلى كل الأرض.. فيصير فجأةً أعجوبة من أعاجيب الزمان.

رن الهاتف إلى جانبه، أمسك به وقرأ إسم المتصل من على شاشته وقد كان المتصل "سلمى" خطيبته.. ارتعشت يده الحاملة للهاتف الذكي حتى كاد يسقطه، ازداد رعبه، دق قلبه، وتقلصت أمعائه، حالة عجيبة أدركته حينما تذكر أن "شهرزاد" التى فضحته فى كابوسه كان لها نفس ملامح خطيبته "سلمى" بل إنها هي مع إختلاف الإسم والمكانة والزمن، هدر الهاتف هدراً طويلا قبل أن يصمت حيث اختار "كريم" ألا يرد. ولم تمر ثانية حتى رن الهاتف رنته الثانية وكان المتصل كذلك خطيبته "سلمى".. "مجنونة بحجم الكون" هكذا يدعوها فى حضورها وفى غيابها، سيضطر أن يجيب هرباً منها لأنه لو لا يفعل عما قريب سوف يجدها أمامه، ولن يكلفها ذلك من وقت إلا مسافة السكة فقط، مسافة السكة من حيث يجلس وتجلس، رفع الهاتف إلى أذنه، ومن ثم

قال: نعم.

سلمى: كم الساعة؟

كريم: لا علم لى.

سلمى "بنفاذ صبر، وحزم، ووعيد يتبينهم كريم رغم أنها لا تبين" : كم الساعة؟

كريم: لا علم لى بالساعة.

سلمى "وقد خفتت الحدة التى كانت فى صوتها":لا علم لك بالساعة! لما لم تحادثني إلى الآن وتسمعني صوتك؟

كريم: كفى سخفاً، أنتِ توقظيني يومياً.. المكالمة أولاً تأتي منكِ.

سلمى "وقد عاد ضيقها":هاتفتك أكثر من مرة إلى الآن ولم ترد.. كما أني لست منبهك الخاص، وقد أملت على الأقل لو أني نسيت مكالمتك يوماً.. تتذكرني، وتتصل أنت.

كريم: اغلقي الخط الآن.

سلمى: لما؟

كريم: لأني متأخر عن العمل وأحتاج أن أرتدي ملابسي وأتجهز.

سلمى: تمام.. ولكنك تنتهي وتعيد مكالمتي.

لم يرد كريم عليها وأغلق هو الهاتف، ولم تمر ثوانيات عدة حتى عاد الهاتف يرن، كاد من غيظه أن يسب لها ولأبيها لكن نجده من ذلك أنه نظر إلى شاشة الهاتف فوجد المتصل شخص آخر، وإسمه الذي سجله به "العراقي".. ذلك يكون الشيف المسئول عنه فى مطبخ الفندق حيث يعمل، ألغى كريم الإتصال الوارد منه وهو يغمغم مع نفسه "لست ذاهباً إلى عمل.. اليوم" وفى لحظة أو أقل من لحظة وجد إسمه يظهر على الشاشة مرة أخرى "لن تتركني فى حالي.. أعلم" قالها لنفسه... ولكي يفيق جيداً لما يدور من حوله، أغلق هاتفه، وألقى به وسط الأشياء إلى حيث كان قبل أن يلتقطه، أما "سلمى" فقد علمت أنه يذهب إلى العمل فلن تفاجئه بزيارة ما، وأما "العراقي" فسيتفهم من عدم رده أولاً، ومن غلقه لهاتفه ثانياً أنه لن يستطيع القدوم، وسيجد طريقة يملأ بها مكانه على الأقل إلى اليوم. ومن مكانه على الأرض راح كريم بكل هدوء يفكر، وأخذ -فى رأسه- يسترجع كل ذكريات يوم الأمس من البداية للنهاية، ويحلل كل شاردة وواردة حدثت معه فى ذلك اليوم تحليلاً مفصلاً، ويجمع ما قد فهمه من ذلك اليوم على جانب وما لم يفهم على جانب آخر. ومن ثم يعيد من الأول.. مرة، واثنان، وثلاثة، وأربعة، وخمسة إلخ...

صباح الأمس
(أحداث ما قبل الكارثة)

صدح فى وسط الغرفة صياح ديكاً مزعجاً مصدره الهاتف، أعطى للمسكين النائم إلى جانبه اعتقاداً مؤكداً بأن الديكة طيور مزعجة حد الموت...

مد "كريم الحصري" الشبه نائم شبه يقظ يده إلى هاتفه الذكي ومرر باصبعه على شاشته اللامسة ليسكت الصوت؛ لقد كان الصوت صوت المنبه بقدوم الساعة الثامنة. هو وقت لا يسعه فيه إلا أن يقوم من رقدته.. إن الدقائق مابين الثامنة والتاسعة مستغلة من جانبه إستغلالاً عجائبياً ومحسوبة حسبة برمة بحيث لا يستطيع أن يضيع منها ولو دقيقة واحدة. السرير الذي ينام عليه يتكون من طابقين، ينام هو على الطابق الأعلى منه لأنه بعيد عن الأعين ويعطيه -كونه ينام معظم لياليه شبه عاري- بعض من الخصوصية. قفزة بهلوانية تبين عن رشاقة وخفة قام بها من أعلى السرير، ومن ثم هبط على الأرض متخذاً وضعية الهبوط الخاصة بالبطل الخارق الوهمي "الرجل العنكبوت" ونزل على الأرض يلامسها بكلتا يديه وركبتيه، نزلة صامتة لم تصدر أية صوت؛ تلك القفزة هي

بمثابة الدفعة التى تعينه على بدأ اليوم، وتساعده أن يخوض فى مشاغله العديدة بوتيرة متسارعة. لم يقم بعد ذلك من على الأرض إلا ووجد خزينة ملابسه أمامه، تناول منها غياره، وعدا إتجاه الحمام ليستحم. وقد استحم فى زمن قدره عشرة دقائق فقط يزيدون أو ينقصون بقليل. مزيل العرق، والمشط، والكريم، والشراب، والحذاء الأسود المترب بشدة، وحزام البنطال، والهاتف، ومفاتيح خزانته فى العمل، وسكينه، ومقشرته؛ أشياء عديدة لا يعلم كيف تناولها هكذا دفعة واحدة لكنه تناولها. وقفته أمام المرآة لم تستغرق الكثير من الوقت كما هو متوقع لكنها كانت كافية له لكي يرى ذقنه النابتة نبتاً مزعجاً "وكأن هذا ما كان ينقصني!؟" هكذا قال فى نبرة لوم.. لوم قاصداً به نفسه، وهو يعلم أنه فى إنتظار ملامات أخرى عديدة فى العمل تصدر من كل شخص يلمح تلك الذقن غير المحلوقة، فكر أن يحلقها لكن لا وقت، الساعة على شاشة هاتفه تشير إلى الثامنة صباحاً وتسعة عشر دقيقة، إلى جانب الساعة تنبيهاً بإتصال يرده من خطيبته سلمى.. رد عليها: صباح الخير.

سلمى: صباح الخير، استيقظت؟

كريم: نعم استيقظت.

راحت المكالمة بينهما تمضي على نحو معتاد كما كل المكالمات السابقة، أغلق باب الشقة خلفه غلقاً هيناً، الهاتف على أذنه يحادث منه سلمى

ويرد عليها ردوداً باهتة بعقل نصف واعٍ للطريق ونصفه الآخر لها، نزل من الطابق الثالث لبناية منزلهم حيث يعيش، وسار بخطوات متسارعة فى طريقه إلى موقف سيارات "السرفيز" حيث يستقل مواصلته الوحيدة إلى العمل... الناس يروحون ويجيئون على جنبي الطريق، وبين الحين والآخر تهدر أبواق السيارات للمرور فى كلتا الإتجاهين هدراً صاخباً.. سرعة، ولهفة، ودقات قلب متسارعة، وصخب، وسيارات أجرة لا يأمل سائقوها فى أكثر من أن يحملوا الناس من على الطرقات بأعداد غفيرة، أو على الأقل يدوسونهم!.. وفجأةً توقف الناس على الطرقات، وتوقفت السيارات، وهدىء الصخب، واستكانت دقات قلبه المتسارعة فأبطئت، وتلاشى صوت سلمى على الجانب الآخر من الهاتف كأنه لم يكن، وتكبلا قدماه على الطريق، ونسي أو تناسى عقارب الساعة التى لن تتفهم موقفه مهما قدم إليها من توسلات.. كل ذلك حدث لحظة ما رآها؛ "بائعة السمك" الجالسة على الرصيف. فلاحة ترتدي الملابس البسيطة المعتادة للفلاحات، أربعينية، بضة، بوجه مستدير ممتلىء، وبشرة خمرية مائلة بشدة إلى الاحمرار.. جاء على ذكرها مرة أمام صديقه "حسام رمضان" مستعيناً برأيه، واصفاً إياها بكل مقومات الجمال الصاخب، وقتها سأله حسام: من تشبه من الفنانات؟

أجابه كريم: "علا غانم" فى أوج عطائها.

حسام: كم عمرها؟

أجابه كريم: أربعينية.

حسام: كرونوفيليا.

كريم: ماذا؟

حسام: مصطلح معناه الإنجذاب الجنسي للأشخاص الأكبر سناً، يعتبره الكثيرين شذوذاً جنسياً، وهو عادةً ما يكون بسبب قلة إهتمام من جانب الأم للطفل وإهمال.. حينما يكبر يسعى لا إرادياً لتعويضهما بعلاقات من هذا النوع.

كريم"مستهجناً": علاقات من هذا النوع؟

حسام: أي ينجذب لنساء أكبر سناً.

قال "حسام رمضان" ذلك ثم نظر إلى "كريم" نظرة جانبية ذات مغزى، يعلن بها إنتهاءه من الحديث فى الموضوع ذاته، ولم يزد كريم على أن قال "كفاك سخفاً" ثم صمت، ووجهه فى الأرض لا يستطيع أن يبادله نظرة بنظرة. وقف فى منتصف الشارع ينظر إليها شارداً وكل هيام الدنيا مرتسماً على وجهه، إن لكريم وجهاً يطفح بمكنونات القلب، ودائماً ما تكون نواياه ظاهرة على وجهه، ومهما حاول إخفاء تلك النوايا أو تبديلها فإنها دائماً -ورغماً عنه- تشب على ملامحه وتظهر. راح يفكر

فى مقالة "حسام رمضان" وفيها، وقد صدق "حسام" بتحليله عنه أنه محروماً من حنان أمه ولم يطمئن كثيراً فى حضنها فى أولى سنين عمره وإلى الآن، لكن هذا لاينفي مدى روعة بائعة السمك وجمالها، فإنه لو يراها قد يعيد النظر فى مقالته تلك، ولربما أعجب هو نفسه بها. على جانبي الطريق المقارب للسوق حيث يقف "كريم" هناك خمسة بائعين للسمك، ثلاثة منهم نساء، ولا أحد منهم يبيع مثلما تبيع تلك، ولا ينال منهم ما تناله هي من زحام.. إنه الآن حيث يقف يبصر على فرشها ثلاثة مشترين من أصل خمسة فى كل السوق، إنها بحق جميلة وجذابة إلى أبعد حد... لكن "مهلاً ما هذا الصوت؟!"

نظر كريم خلفه فرأى "السرفيز" يكاد ينفلق بوقه من شدة التزمير، والسائق موجهاً حديثه له: نائم أنت؟

كريم: لا لست نائم.

"ابتعد إذاً" قالها السائق، وحينما أفسح له كريم الطريق توقف إلى جانبه وقال بصوته العالي وهو يشير إلى بائعة السمك "فى مثل سن أمك تلك!" ثم ابتعد، وأثناء قول السائق مقولته الأخيرة، ثلاثة من الصبيان كانوا يتابعون كل شيء من نوافذ السيارة راحوا يضحكون، وكل من كان داخل السيارة ضحك إلى جانبهم.. حتى السائق نفسه ضحك، ومن لم يضحك منهم راح يسأل عما حدث فيجيبه من يجلس إلى جانبه

فيضحك مثلهم، أمور مشابهة حدثت مع المارة على الطريق، إنتشر الضحك فى كل مكان حوله وهو الوحيد المقطب الواجم.

شعر حينها كما لو أنه يقف فى منتصف الطريق بلا ملابس، خاصة وأن كثير من المارة كانوا يتابعون ما حدث وراحوا ينظرون إليه، والواقفون على فرش السمك، وبائعة السمك كذلك انتبهت له وقد كانت قبل ذلك -بتعمد منها- تتجاهله. ثم تذكر أن صوت سلمى لازال إلى الآن يهدر على الهاتف، رفعه إلى أذنه: نعم حبيبتي. وأخذ يسير فى طريقه كأن شيئاً لم يحدث، لا شأن له بالطريق ولا بالناس على الطريق، بالمختصر المفيد: عاملاً نفسه من بنها.

منتصف يوم الأمس

نائم أنت؟ نائم أنت؟

فى مثل سن أمك تلك.

ابتعد عن الطريق إذاً!

راح يراجع كل شيء حدث معه وهو واقف يعمل، يردد كل كلمة قالها له السائق بسخرية واعوجاج، ثم يطور مع نفسه ردوداً يتمنى لو أنه كان قد قالها له حينها "لا لست نائم ياابن الأسافل" أو "ما شأنك أنت" تلك الأخيرة قالها بصوت مسموع وقد أخرج بها كثير من مكنونات صدره حنقاً وغليلاً. "العراقي" إلى جانبه انتفض لما سمع هرطقاته "كيف قلت؟" هكذا سأله.. "ليس شيئاً ذا بال" وهكذا أجابه كريم، رفع العراقي يده وصفع بأطراف أصابعه كريماً على أعلى رأسه، وقال "قلت لك كثيراً لا تسرح" أحدثت الصفعة فى (غرفة التجهيز) حيث يعملان رنيناً.. خلفهم صبي فارع الطول يقشر بصلاً انفجر ضاحكاً، نظرة واحدة من العراقي إليه أجبرته على الصمت، ثم أردف العراقي "طالما فى يدك السكين لا تندمج فى حديثك مع أحد ولا تسرح، ففى ثانية أو أقل من ثانية ستجد لك إصبعاً مبتوراً، والإصبع المبتور هو

مستقبل مبتور، لأن هذا مجالاً لا يعمل فيه إلا مكتمل الأصابع.. فإن ضاع منك صباع واحد سيتعثر عليك الإمساك بالسكين أولاً وسيعافك الزبون ثانياً، وتلك هي القاضية" يعاني الشيف "العراقي" من قلة تقدير فى العمل، ولا يكاد أحد فى المطبخ يستمع إليه أو يلحظ وجوده حتى.. ورغم سنه الكبير لم يكن معروفاً عنه أنه شخص ذو طابع مميز، أو أنه على أقل تقدير "يفهم". وكثير من الشيفات الكبار الآن فى المطبخ اعتادوا فى أوقات سابقة أن يكونوا صبيانا يعملون تحت امرته ثم ها هم بعد ذلك يعلون عليه فى القدر والبوزيشن والقيمة ومستوى الفهم كذلك. ونتيجة لكل ما سبق اعتاد مؤخراً أن يتتبع أخطاء الشيفات من حوله صغيرهم وكبيرهم، وإذا لمح أي شيء يبدو فى ظاهره أنه ليس صحيحاً -مهما صغر حجم ذلك الشيء أو كبر- لا يتركه إلا بعد أن يوجه إلى مرتكب ذلك الخطأ النصيحة خلف النصيحة، بصوت عالى مسموع، يظل يحاضر لدقائق عديدة حتى يعطي لمن أمامه شعوراً بعدم الإرتياح.. لقد كان -كما عرف كريم عنه- استعراضياً يداري فشله بتصيده لأخطاء الناس من حوله، وهي واحدة من صفاته العديدة التى لم تجعل له داخل المطبخ أي تعاطف أو قبول. أنهى "العراقي" محاضرته وخرج. التفت كريم إلى الشاب خلفه: تعلم يا حسن؟

حسن: ماذا؟

كريم: يكاد النساء يذهبن بعقلي، هم كل ما أفكر فيه منذ أستيقظ وحتى أعود إلى فراشي للنوم.

حسن: كلنا هكذا ولكن بنسب متفاوتة.. "نظر إلى كريم" لكنك متطرفاً بعض الشيء وتستحق أن تفيق.

أجاب كريم "لعلك محق" ثم شرع يحكي له كل شيء حدث معه منذ بداية اليوم، وحكى له عن "بائعة السمك". لم يستطع "حسن" أن يتمالك نفسه من الدهشة... قال ضاحكاً: فقري أنت.. تقف على الجريل (الشواية) عشاء كل يوم، تحادث هذه وتمازح تلك، أوروبيات غربيات وشرقيات، وآسياويات.. نساء من كل جنس ولون، وتنال منك فلاحة مصرية؟

أجاب كريم: ليس كمثل الفلاحات أحد، ليس كمثل المصريات أحد.

فى يده جزرة كبيرة يقشرها سقطت منه أسفل الكونتر (الطاولة الاستانليس) حيث يعمل، ولعلمه أنه لن يستطيع أن يأتي بها قرر تجاهلها، حينها دخل العراقي مردداً " الله الله" سأله كريم "ماذا هناك؟ ماذا؟"

تناول "العراقي" مقشة من جانب الحائط ثم جذب الجزرة من

أسفل الطاولة وقدمها إليه: هل كنت تظنني لا أراك؟ تعلم كم ثمنها تلك؟ تعلم مقدار العذاب الذي سينزله الله عليك ومقدار البركة التى سينزعها منك بسبب إلقائك لها؟... " ثم ازداد حدةً" لست أمازحك يا كريم فاسمع؛ هل لأننا نعمل فى منتجع يدر ملايين الدولارات أسبوعياً نلقي نعمة الله على الأرض هكذا؟ كيف أفسر فعلتك لهؤلاء "ثم أشار إلى الكاميرا فى جانب الحائط".. وإذا جاء شيفاً (طباخاً) أعلى رتبةً ماذا أقول؟

لم يكن فى حاجة إلى قول المزيد، إذ لحظتها سمع أحد الطباخين المارين عليهم الصوت فدخل.. "ماذا يجري هنا؟" هكذا قال الشيف "صبحي".. خمسيني غير هرم، قصير قصر بائن، ونحيل نحالة بائنة، ورأسه الصغيرة يداريها أسفل التوك. حكى له "العراقي" ما حدث فلم يجيبه بشيء، بيده ورقة وقلم، دون إسم كريم رباعياً وقال له "أنت مجازى.. خصم يوم واحد" أجابه كريم "لا بأس" ابتسم الشيف صبحي له وبنفس سرعة دخوله خرج. ولكنه لم يكد يغلق الباب خلفه حتى عاد ثانية، أمعن النظر فى ذقن "كريم" فأخذت بطنه تقرقر من الخوف، قال الشيف "صبحي" موجهاً حديثه إليه: ذقنك.. !

كريم: ماذا عنها؟

صبحي: تحلقها قبل وجبة العشاء، لا يصح أن يراك الضيوف هكذا

"ثم نظر إلى الأرض" وحذائك !

كريم: ماذا عنه؟

صبحي: تلمعه يوم بيوم.. الهندام أهم شيء، ولطالما حذرتك "ثم مرر قلمه مرة ثانية على الورقة فى يده وأردف" الجزاء زاد.. وإجمالي الخصم ثلاثة أيام.

ليس فى وسع كريم أن يعترض، لا بكلمة ولا بنصف.. ولن يقول حتى "بم". المطبخ هكذا؛ كل شيف يحترم الشيف الأكبر منه من أصغر "كوميه" وحتى "الشيف العمومي". النظام المطبخي الفندقي مأخوذ بالكامل عن المطبخ الفرنسي، والمطبخ الفرنسي يعود ترتيبه الهرمي إلى الحملات العسكرية فى القرون الوسطى، والمبادىء التى يعمل بها الطهاة هي نفسها المبادىء العسكرية الأساسية لتلك الحقبة، وقد ورثها الطهاة منذ كانوا يرافقون الجيوش فى حملاتها فى تلك العصور الغابرة... وإلى اليوم. والبوزيشنات فى المطبخ "positions" لها نفس فكرة الرتب العسكرية، وتتكون من العديد من البوزيشنات.

الشاويشية والعساكر، وهم: طباخ ثالث، طباخ ثاني، طباخ أول.

والضباط والضباط الكبار، وهم: مساعد رئيس قسم، رئيس قسم، رئيس قسم أول.

واللواءات وهم: كبير طهاة، كبير طهاة أول.

وأخيراً على رأس هذا البناء الهرمي القائد الأعلى للقوات المطبخية، وهو؛ (الشيف العمومي) والقيمة بين هؤلاء تكن دائماً للبوزيشن لا للسن، وقد يكون شخص ما حديث السن ولكنه بوزيشن أعلى من كثير ممن يكبرونه سناً فيزعنون إليه، وينفذون أوامره -تلك التى تخص الشغل فقط بالطبع- وإلا جازاهم، أو عاقبهم بأن يسند إليهم أعمالاً لا يريدونها. يتكون المطبخ كذلك من أقسام، وهي: الجزار، والحلواني، والخباز، والسخن، والبارد. وكل قسم له طهاته، ومعداته، وخاماته. وممنوع أن يحدث بينهم إختلاط إلا بشكل محدد. المطبخ هو أقرب شبهاً بخلية النحل التى لا يتوقف العمل فيها ولو لثانية واحدة، خلية كل من فيها يرتدون الأبيض.

خرج الشيف "صبحي" وعاد ثلاثتهم إلى العمل الذي كانوا مشغولون به قبل ذلك، غسل "العراقي" الجزرة فى الأحواض خلفه بالمراحل الثلاثة المعتادة من غسيل وتعقيم وشطف، نظر إلى "كريم" وقال مازحاً "أعطيني مجال" تنحى كريم جانباً ثم وضع العراقي الجزرة أمامه. طال الصمت عليهم حتى ما عاد يسمع فى غرفة التجهيز غير أصوات السكاكين وهي تنزل على ألواح التقطيع، طال الصمت ثم قطعه حسن بسؤاله: صحيح ياعم عراقي! لماذا تكثر من تلك الجملة؟

"أعطيني مجال" أسمعك تقولها أغلب الوقت.

أجابه العراقي: تلك الجملة تعود للعام ألفين وخمسة، وقت محاكمة صدام حسين، وداخل قاعة المحكمة كان كلما هم بالحديث أمام القاضي يقاطعه، فإذا به يقول للقاضي "أعطني مجال، أعطني مجال.. أنا أدافع عن نفسي... حضرة القاضي أنا أردتكم رماح وسيوف فى وجه الأعداء" علقت تلك الكلمة فى ذهني لشدة تأثري بها.. ومن وقتها إلى الآن وأنا أرددها كثيراً.

حسن: فهمت.. لهذا يدعونك العراقي إذاً؟

العراقي: ليس لهذا وحسب، ولكن أيضاً لكثرة سماعي للأغاني العراقية، ولكثرة تحدثي بتلك اللهجة أيضاً... وبما أنك سألت سأسمعك شئ ما.

قال ذلك ثم أخرج هاتفه الذكي، اختار أغنية.. وأسنده على الحائط، راح الصوت يهدر فى غرفة التجهيز وحتى نهاية منتصف ذلك اليوم، وقد كانوا يستمعون إليها وهم يعملون... الأغنية تقول:

وش عجب قاطع بِيا

يا راحتِي النَفْسِيَّة

تُدْرِي القلب مَهْمُوم

أبكي وَأَوْنَ يَوْمِيَّة

...

وش عجب قاطع بِيا

يا راحتِي النَفْسِيَّة

تُدْرِي القلب مَهْمُوم

أبكي وَأَوْنَ يَوْمِيَّة

...

همي يزيد شلون

والناس يشمتون

بعدك فضحني الشوق

ألطم مثل مجنون

...

بس شوفتك تكفيني

ارجع ولا تبكيني

ليش آني من انت رحلت

صغران كلشي بعيني

...

بس شوفتك تكفيني

ارجع ولا تبكيني

ليش آني من انت رحلت

صغران كلشي بعيني

...

وش عجب قاطع بِيا

يا راحتِي النَفْسِيَّة

تُدْرِي القلب مَهْمُوم

أبكي وَأَوْنَ يَوْمِيَّة

...

هَمِّي يَزِيد شلون

وَالناس يَشْمَتُونَ

بَعْدَكِ فَضَّحَنِي الشَوِق

ألطِمّ مَثُلَ مَجْنُون

...

وش عجب عايف حبي

ناسي دلالي وتعبي

بعدك جفاني النوم

والجرح عامي قلبي

...

وش عجب عايف حبي

ناسي دلالي وتعبي

بعدك جفاني النوم

والجرح عامي قلبي

...

ليش البعد يا الغالي

فراقك مغير حالي

أبكي وأحس مخنوق

والجرح ماله والي

...

بس شوفتك تكفيني

ارجع ولا تبكيني

ليش آني من انت رحلت

صغران كلشي بعيني

ليل الأمس

فى منطقة التدخين (smoking area) قرب نهاية وجبة العشاء، وقرب نهاية اليوم ككل جلس كريم يستريح قليلاً من صخب اليوم، جسده مرتخي، عزمه منقضي، شعره منكوشاً، بشرته ساخنة من كثرة وقوفه أمام الشواية، وقلبه موغلا على زميله فى العمل "العراقي".. فإنه منذ بداية وجبة العشاء، ومع دخول الضيوف إلى قاعة المطعم الفسيحة.. لمحت عيناه فتاة آسيوية آية فى الجمال فانفلق قلبه نصفين لأجلها، وبعد دقائق من رؤيته لها جائته على الشواية حيث يقف كما تمنى فؤاده.

ثم وبقلب مفتوح على مصراعيه وبإبتسامة واسعة استقبلها قائلاً: مرحباً.

الفتاة: مرحباً...أريد ثلاثة من فضلك.

أخذ يقلب حبات الجمبري على الشواية أمامه يميناً ويساراً، وبعد تمام تسويتهم لم يعطها منهم كما أوهمها، وإنما جمعهم ووضعهم فى طبق إلى جانبه، وقام بتغطيتهم.

لم تفهم الفتاة فعلته: لن تعطيني من ذاك؟

كريم: لا. شعرت الفتاة بالضيق منه وهو ما أراده فأردف: ولكنك

ستأكلينه طازجاً. ثم نزل إلى الثلاجة أسفل منه، وأخرج بعضاً من الجمبري الطازج، وراح منذ أخرجه من الثلاجة إلى أن وضعه على الشواية يهزه بعنف ويمثل أمامها كما لو كان الجمبري حياً، فعل ذلك وهو يغمز لها فراحت تضحك.. حيلة اكتسبها من "بائعة السمك".

كريم "بحنو بالغ" : تبدين جميلة اليوم.. ما اسمك؟

الفتاة وقد وضعت يدها على فمها: أوه أشكرك.. هذا لطف بالغ منك، إسمي إيبا.

كريم: اسم جميل جداً.. أنا كريم. ثم حينما لم ترد عليه قرر أن يرميها بواحدة أخرى من حيله.

كريم: لهجتك بريطانية، وهيئتك هندية.

إيبا "وقد بدأت تنتبه إليه": هذا صحيح، تبدو شاباً ذكياً. أخذهما الكلام من تلك النقطة وراحا يتوغلان فى بئره بلا قرار، أخبرها هو أن الهنود والمصريين يتشابهون كثيراً وهما كشعبين لا يتشابهان فى الشكل فقط وإنما فى تاريخهم العريق كذلك، وفى طابع الحياة نفسه.. قال لها نصاً "نبدو كما لو أننا أبناء طينة واحدة" ثم راحت تسأل عنه وعن أحواله، وعن مكان سكنه، وإذا ما كان يعيش بمفرده أم لا، وحيث ما قد كان قاب قوسين أو أدنى من أن يطلب رقم هاتفها اقتحم العراقي

عليهما الخلوة، وجاء ناعقاً بصوته الجهور مبدداً كل اللطف والحميمية اللذان كانا يحيطان بهما. تقدم العراقي ودفع كريم بلطف، ولم ينسى أن يردد كلمته المعتادة "أعطني مجال.. من فضلك" ثم قال: انظر ما تفعل! الجمبري سوي سواءً زائداً عن الحد "overcooked" قلت لك أكثر من مرة الأكل البحري لا يأخذ كثيراً من الوقت على الشواية، الجمبري بالذات هو أقصرهم وقتاً فى تسويته، وبمجرد أن يأخذ اللون الوردي تقدمه للزبون.

سعلت "إيبا" لكي تلفت نظرهما إليها، وبالفعل التفت إليها العراقي وقال: متأسف سيدتي، لقد أفسد هذا الولد الجمبري الخاص بكِ، أعطيني دقيقتين وسوف أعد لكِ غيره.

ثم وبنبرة لوم وجه العراقي كلامه إلى كريم: ماذا كنت تنتظر؟ أن تحرقه؟ إن لم يكن بالفعل قد احترق. كانت تلك هي اللحظة التى خرج فيها كريم، لقد جعله العراقي يبدو أمام الفتاة كما لو أن ليس له أهمية على الإطلاق، لقد عامله معاملة الصبيان الصغار، محال بعد ما حدث الآن أن تهتم الفتاة به. خرج كريم وأخذ فى يده الطبق الذي كان قد وضع الجمبري فيه قبل ذلك، خرج وهو يتوعد العراقي، ويمني نفسه بأنه يوماً ما سينتقم منه بشدة على تصرفه هذا... "لسوف ينال فى يوم -على يدي- خازوقاً يخترقه من أسفل إلى أعلى.. أعده وأعد

نفسي بذلك، وليس ثمة قوة على الأرض قادرة أن تثني عزمي على هكذا فعلة" قال ذلك بصوتٍ مسموع لحظة شرود أُثناء جلوسه فى منطقة التدخين.. ودون أن ينظر أمد يده اليمنى على الأريكة بجانبه ليتحسس طبق الجمبري الذي طلبه منه "حسام رمضان" فكان موجوداً إلا أن "حسام" نفسه لازال لم يأتى بعد. منطقة التدخين تلك هي نفسها المكان الذي رأى حسام فيه للمرة الأولى، حدث ذلك منذ عامين.. وقد كان كريم حينئذ موظفاً جديداً فى المكان، جالس على نفس الأريكة فى نفس التوقيت وشارد نفس الشرود، وفجأة ارتمى شاب طويل القامة إلى جانبه.. لم يحيي كريم وقتها.. وبدلاً من ذلك نظر إليه وقال: لك رائحة سيئة.

أجابه كريم: هذا ليس صحيحاً.

حسام: بل صحيح جداً.. ومتعرق أيضاً.

أمعن كريم النظر إليه فهاله طوله، وهالته هيئته الرياضية، وشعر بالإحباط إذ ليس ثمة سبيل إلى ضربه.. ستكون معركة خاسرة بالتأكيد.. بدلاً من ذلك قرر مسايرته.

كريم: أظنك تتوهم كل ذلك.. فأنا أستحم أكثر مما تغسل أنت وجهك.

حسام: لا يهم.. الإستحمام ليس بالضرورة قرين النظافة الشخصية، قد يستحم المرء عشر مرات يومياً ويظل رغم ذلك نتناً.. ينفر منه الناس.

كريم "بنفاذ صبر": عجيب أمرك... تبدو كمن يعلم الكثير عن النظافة الشخصية!

حسام "بغرور زائد": هذا صحيح..

كريم "بغيظ" : حدثني عنها إذاً.. أرني.

بعد ذلك لا يعلم كريم بالتحديد أي زر قد ضغط عليه، أو أي خطأ ارتكب لأن حسام أخذ طلبه على محمل الجد وبدأ يومها حديثاً طال لمدة خمسة عشر دقيقة كاملة، حديث لا زال إلى الآن يتذكره.

يومها فتح حسام رمضان فمه وبدا كما لو أنه لن يغلقه أبداً.

يومها أجابه حسام وقال: سعيد أنك قد سألت.. اسمع إذاً.. النظافة الشخصية هي أول شيء يميز الإنسان المتفتح، المتحضر، الواعي لذاته.. أول ما يلاحظه منك الناس، وهي الحاجز الأول بينك وبين القبول، فإنك وان كنت وجيهاً فى الدنيا، عالماً فى الدين، صاحب مال، تتحدث فلا يمل الناس من حديثك، خفيفاً وهيناً وطيباً وذو مروءة.. ووسيماً كذلك ولست تراعي نظافتك الشخصية ولك رائحة سيئة.. سيكرهك الناس!

"صحيح جداً.. أتفق" قال كريم ذلك ثم شعر كما لو أنه استفز "حسام" بتعقيبه الأخير عليه، وعزم على ألا يقاطعه بعد ذلك إلا نادراً، وقد تابع "حسام رمضان" حديثه كأن لم يسمع منه شيئاً:

للنظافة الشخصية اشتراطات، وهي سلوك وليست جينات.. فليس يصح أن يقنع شخص أن رائحته على الدوام جيدة مهما فعل ولو لم يلتزم باشتراطات النظافة الشخصية ويرجع ذلك إلى عوامل وراثية!.. ذلك لأن النظافة سلوك كما أسلفنا والرائحة التى تنبعث من الجسد البشري سواء كانت جيدة أم سيئة هي نتاج ذلك السلوك، ونتاج مدى اتباعنا للاشتراطات الخاصة بالنظافة الشخصية.

ثم نظر "حسام" إلى "كريم" وسأله: معي أنت؟

كريم: نعم معك.

حينها اطمئن "حسام" وراح يكمل حديثه:

البكتيريا هي العدو الأول للنظافة الشخصية، غذائها البروتين وهو ماتوفره ترسبات التغير الجلدي على جسد الإنسان بشكل دائم حتى بعد التنظيف العميق، ودرجة حرارة الجسد البشري مناسبة جداً لها وتدفعها للنمو والإزدهار، وإذا كان على هذا الجسد البشري ماء لم يجفف بعد استحمام أو غيره فإن انتشارها يتضاعف آلاف المرات ويصير

ذلك الجسد بيئة مثالية لها، ويصعب بعد ذلك دفعها للخروج.

ثم نقر "حسام رمضان" إصبعيه فى وجه "كريم" وهو يقول: للعلم؛ درجة الحرارة من (١) إلى (٤) مئوية تبطىء من التكاثر البكتيري وهي الدرجة المعتادة لثلاجات حفظ الطعام، ودرجة الحرارة (-١٨) مئوية هي درجة توقف النشاط البكتيري ذلك لأنها درجة تجميد وهي الدرجة المعتادة لفريزرات حفظ الطعام..

أما درجات الحرارة من (٥) إلى (٦٠) مئوية فهي الأنسب للبكتيريا وتساعد على تكاثرها وانتشارها. والبكتيريا كما أسلفنا تتجمد فى أقل من (٥) مئوية. وتموت بأكثر من (٦٥) مئوية.

وجسد الإنسان الطبيعي تكن درجة حرارته (٣٧) مئوية، وهي الدرجة الأفضل والأنسب للبكتيريا.

كريم: هذا صحيح.. أعرف هذا الكلام من دورات الهاسب والهايجين.

أشار حسام له بأن يصمت وراح يكمل كلامه:

البكتيريا يا صديقي بطبيعة الحال وكما أخذت أنت فى دورات الهاسب تحب الماء فإن الأطعمة التى تحوي على نسب ماء عالية توضع فى الثلاجة لوقف النمو البكتيري داخلها أو على الأقل تعطيله، وعلى

العكس من ذلك تماماً الأطعمة الجافة التى تحوي على نسب ماء قليلة فبعضها يوضع على رف أو درج ولا يخشى عليه من الإنتشار البكتيري مثل (الفول المدشوش، البقوليات، التوابل.. إلخ) وبنفس الطريقة فإن ترك الماء على الجسد البشري يجعله عرضة للتفسخ والتعفن والرائحة السيئة بشكل كبير. ..

ونتيجة لكل ما سبق فإن للنظافة الشخصية خمسة اشتراطات، وأول اشتراطات النظافة الشخصية هو الإستحمام بالماء البارد لأنه يوقف الإنتشار البكتيري لحظياً عكس الدافئ قليلاً.. هذا أولاً، وثانياً لأن الماء البارد يغلق مسامات الجسد غلقاً جيداً فلا يتعرق الجسد عندما يتعرض لأقل مجهود بمشقات اليوم المختلفة.

قال حسام موجهاً كلامه إلى كريم: تفهمني أنت؟

كريم: نعم أفهمك بشكلٍ كامل.

حسام: وتكملة لما سبق أقول أن العكس لكل ذلك يحدث عند الإستحمام بالماء الدافئ فإنه يعرض الجسد للإنتشار البكتيري أولاً وبنسب عالية، وثانياً يفتح مسامات الجلد على إتساعها فيصاب الجسد بالتعرق الشديد لأقل مجهود يبذله.. بل وربما تعرق الجسد داخل الحمام قبل حتى إرتداء الملابس، وهو ما يشكو منه معظم الناس الذين تعودوا

على الإستحمام بالماء الساخن حتى فى الصيف.

"وقد كان حسام فى آخر كلامه يشير إلى كريم كأنما يعنيه هو بهذا الكلام ما أثار غيظه بشدة"

حسام: وثاني شرط... هو التنظيف العميق باستخدام الليفة والصابون، صحيح أن الصابون لا يقتل البكتيريا لكنه عامل مساعد فى التخلص منها، لأنه -بشكل فعال- يزيل طبقات الأوساخ المختلفة من على الجسدي البشري، وبالتالي يزيل البكتيريا الملاصقة لها ويجري بها إلى حيث الماء يجري.

كريم: مهلاً.. ولكن الصابون بالفعل يقتل البكتيريا.

حسام: خرافة روجت لها شركات الصابون لسنين عدة، الصابون لا يقتل البكتيريا وبإمكانك أن تبحث بنفسك...

أما ثالث اشتراط هو التجفيف الجيد للجسد وبالأخص المناطق الحساسة ومنطقة مابين أصابع القدم، وليكن فى العلم أن المنطقة التى لا تجفف عاجلاً أم آجلاً ستخرج منها روائح كريهة، ولكي نؤكد على صحة هذا الكلام جرب ولو لمرة ترتدي جورباً به نسب عالية من الماء وغير مجفف، ثم امضي إلى عملك وعد فى آخر اليوم وانظر كيف أصبح... سيتفسخ بطبيعة الحال وستخرج منه روائح غاية فى النتانة

والقرف

"كان حسام يعد الإشتراطات على أصابع يده، ويحرص على أن يراه كريم وهو يفعل ذلك"

رابع اشتراط هو التعقيم الجيد للجسد، خاصة المناطق الحساسة منه؛ باستخدام مزيلات العرق لمنطقة ما تحت الإبطين.. وكذلك تطهير منطقة مابين أصابع القدم بعد كل إستحمام برش الكحول عليها ثم تجفيفها أو على الأقل كولونيا وهي تحتوي على نسب عالية من الكحول إضافة إلى رائحتها المنعشة... جدير بالذكر أن رش الكولونيا التى تحتوي على الكحول فى منطقة مابين أصابع القدم يحافظ عليها نظيفة ولها رائحة جيدة طوال اليوم، وستبقى كذلك إلى موعد الإستحمام القادم.. ستبقى كذلك حتى وإن تم ارتداء جورب عليها لمدة خمسون ساعة قادمة. ولا يعيب كذلك لو تم رش الكحول على المناطق الأخرى الحساسة فى الجسد فإنه يجري عليها ما يجري على منطقة أسفل الإبطين ومنطقة مابين الأصابع، وهي على نفس الدرجة من الخطورة.

"جذب حديث حسام إلى كريم إهتمام بعض الأشخاص الموجودين معهم فى منطقة التدخين، لذلك وجهوا آذانهم نحوه وراحوا يتابعونه إرضاءً للفضول"

أما خامس اشتراط فهو نظافة الملبس ويكون مجففاً بشكل تام، وأن لا يكون معاد إرتداءه بغير غسيل، وعلى وجه الخصوص الملبس الداخلي الذي يتوجب تغييره يوم بيوم وكذلك الجورب. فإن الملبس المعاد ارتدائه بغير غسيل يحمل نفس كمية البكتيريا التى كان يحملها الجسد قبل عملية الإستحمام والتجفيف والتعقيم، وهي فعلة تنزع الفائدة عن كل ما سبق، وعند القيام بها يبدو المرء وكأنه لم ينظف نفسه أو يستحم، وتعيده إلى نقطة الصفر.

هم "كريم" ليضيف شيئاً، فأوقفه "حسام" قائلاً: لحظة من فضلك.. أنا على وشك الإنتهاء..

النظافة الشخصية واشتراطاتها أهم شيء يبدأ به المرء يومه، وعند تجاهلهما يستحسن أن لا يخرج المرء من بيته أصلاً لأنه هكذا يكن مصدر أذى لغيره من الناس، فى أماكن العمل المختلفة، وفى المواصلات. بعض الأشخاص الذين يعملون فى تداول الأطعمة كالشيفات والبارتيندرات والويترية.. إلخ. -كحالنا نحن- لا خيار لديهم إلا تطبيق تلك الاشتراطات بشكل صارم.. وإلا تركوا مجال عملهم أفضل ..وشكراً.

بعد كلمة "وشكراً" الأخيرة تلك لم يستطع "كريم" أن يخفي اندهاشه منه، إنه بالفعل يعلم الكثير عن النظافة الشخصية، يعلم عنها أكثر من أي أحد آخر قابله كريم فى حياته، وكثير من المفاهيم التى كانت

لدى "كريم" خاطئة.. صححها له "حسام" فى مقالته.. لم يعبر له عما يجول فى خلده لأنه لم يطمئن إليه بعد هذا أولاً، وثانياً لأنه لا يريد أن يزيده غروراً. قرأ "حسام" من وجه "كريم" ما يدور فى خلده لذلك أراح ظهره على الأريكة وقال: أنت على الرحب والسعة. ثم أضاف شامتاً: ها... ستستحم أم ماذا؟ لا أظن الناس فى المواصلات يتحملون رائحتك تلك!

علم "حسام" أنه بقوله لتلك الجملة الأخيرة يكون قد تعدى حدوده على نحو واسع، ورغم ذلك لم يتوقع أن يفعل "كريم" ما فعل... لقد وجه له "كريم" لكمة قوية مباشرة إلى وجهه، ذهبت به إلى عوالم أخرى.. وأماكن، هرع كل من يجلس على مقربة للتفريق بينهما، وفى أقل من دقيقتين جاء أحد مشرفين الأمن واقتادهما إلى مكتب شئون العاملين.

...

الداخل إلى مكتب شئون العاملين فى مكانهم هذا حيث يعملان أول شيء يقابله حينما يفتح الباب وأثناء وجوده بالداخل؛ البرودة الشديدة. وهذا هو شأن المكتب فى أي ساعة من ساعات اليوم، وجدا هناك الأستاذ "شاهر" وهو الوحيد من كل موظفين المكتب الذي يبقى حتى تلك الساعة المتأخرة، وذلك تحسباً لأي طارىء.. نظر إلى مشرف

الأمن وقد كان إسمه "طلعت" ثم سأله: ماذا عنهما ياعم طلعت؟

طلعت: وجدتهما يتشاجران...

وقد كان الإثنان قبل دخولهما إلى المكتب، وفى أثناء طريقهما إليه -ورغم كل شيء حدث بينهما- اتفقا على أنهما لم يتشاجران.. رغم الشهود، والكاميرات، وفرد الأمن، وملابسهما غير المهندمة؛ سينكران الموضوع بشكل قاطع. واتفقا على رواية واحدة للأحداث يقولانها إذا ما قرر الأستاذ "شاهر" إستجواب كل واحد منهما على حدة. وهو ما يحدث غالباً فى النزاعات من هذا النوع، إلا أن الأستاذ "شاهر" أبسط من ذلك كله.. ربما لو قابلا أحد الموظفين الآخرين من الوردية الصباحية لكان الأمر اختلف، نظر الأستاذ "شاهر" إليهما.. وسأل: تشاجرتما؟

فأنكرا معاً، حينها نظر إلى مشرف الأمن "طلعت".

طلعت: تقولان لم تتشاجرا !.. صحيح لم تتشاجرا.. أقر بذلك، لقد كنتما تفعلان شيء مختلف تماماً، كنتما تحاولان قتل بعضكما البعض فقط.. أليس كذلك؟

ثم وضع يده فى جيبه وأخرج هاتفه "بسيط الأمر.. فى لحظات وآتيك بتسجيل الكاميرات" هكذا قال موجهاً حديثه إلى الأستاذ "شاهر" وقد أجابه الأخير بأنه لا داعي لأياً من ذلك، وأنهما سينالان الجزاء الذي

يستحقانه، ثم قال له "اذهب أنت الآن" وحينما رحل "طلعت" وأغلق الباب خلفه، نظر "شاهر" إليهما وسأل: إذاً... أعتبر هذا الأمر منقضي؟

حسام: نعم منقضي.. لا تراعي.

كريم: منقضي بإذن الله.

تناول "شاهر" حقيبته، وبدا عليه أنه قد كان قبل قدومهما بدقائق يستعد للرحيل، ثم قال وهو يصحبهما إلى الباب: عظيم.. لا تدعاني أرى أياً منكما هنا مرة أخرى. وقتها وجدا نفسيهما وجهاً لوجه فى العراء، وليس فى المكان أحد.. ثم نظر كل منهما إلى الآخر، قال "حسام" وقد بدأت عينه التى أصابها "كريم" تتورم "صدقاً يارجل تحتاج إلى أن تستحم" وقال "كريم" موجهاً كلامه إليه "صدقاً يارجل تحتاج إلى نظارة شمس" ثم راحا يضحكان معاً بشدة، ضحك لا يعلم أياً منهما سبباً له. ومن تلك اللحظة إلى الآن لازم كل منهما الآخر، واستوثقت علاقتهما شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام حتى صارا كالإخوة... وأخوية محدودة هي تلك التى جمعتهما حيث ظلت حبيسة محل العمل فقط، أما خارجه فلم يكن يعلم أحدهما أي شيء عن الآخر.

منتصف ليل الأمس

لمح كريم شيء غاية فى الضخامة قادم نحوه من بعيد فعلم أنه "حسام"، وصل إليه.. مد يده إلى الطبق بجانب كريم وبدأ فى إلتهامه.. "لى هذا؟" هكذا سأله حسام فأجابه كريم "الآن تسأل؟

... نعم لك"

كريم: تذكر يا حسام يوم ضربتك فى عينك؟

حسام: نعم إنه نفس اليوم الذي أخبرتك فيه أن لك رائحة سيئة.

كريم: لست ملاماً كما تعلم.. فلقد كنت فظاً.

حسام: وليتك أخذت بالنصيحة، الآن أنا لطيف جداً معك.. أحدثك نفس الحديث، والشيء الغريب أنه لازالت لك نفس الرائحة السيئة!

قال "حسام" ذلك ثم راح يضحك بعفوية... اعتاد الاثنان دوماً أن يوجها لبعضهما البعض إهانات بغرض المزاح، ومهما كانت قساوتها لا تؤخذ على محمل الجد...تلك المرة أحس "حسام" أن فى الأمر إختلاف، إذ يبدو "كريم" حزيناً على غير العادة، ولما سأله "ما بك؟" أخبره "كريم"

بكل شيء حدث معه هو و"العراقي" منذ بداية اليوم، ولقد كان أكثر شيء آلمه هو مقاطعة حديثه مع الفتاة "إيبا". سمع منه "حسام" كل شيء قاله وعند إنتهائه رآه "كريم" يهم بإلتهام آخر قطعة فى الطبق، مسح "حسام" يديه وفمه بمنديل أخرجه من جيبه ثم ألقى به فى سلة مهملات قريبة إلى جانب بواقي الأكل، ووضع الطبق الفارغ جانباً ثم قال "حدث معي الأمر نفسه اليوم" سأله كريم "كيف؟" نظر له حسام وقال "كنت أتحدث حديثاً عاطفياً مع فتاة أنا الآخر، قالت لى فى منتصف الكلام أنها معجبة بهيئتي الرياضية، ومعجبة كذلك بطولي، وحيث ما كنت قريباً من الظفر برقم الهاتف الخاص بها لمحني مدير المطعم فصرخ بى أمامها، ثم أمرني أن أحمل الأطباق المتسخة من طاولة قريبة، فعلت ما أمرني به وفى طريق عودتي رأيته واقفاً معها يضحك وتضحك هي" التفت إليه كريم وقال: هون على نفسك.. ان هذا أقسى مما حدث معي.

حسام: أرأيت؟ من منا الآن يفترض به أن يحزن أنا أم أنت؟

حك كريم رأسه وأخذ يجيبه: ما حدث بيني وبين العراقي ليس كل شيء.. هناك أمور أخرى حدثت صباح اليوم، وهي مدعاة للحزن هي الأخرى. سأله "حسام" على الفور عما يعنيه بكلامه هذا فحكى له كريم كل شيء حدث له صباح اليوم مع بائعة السمك، والسائق، والركاب فى سرفيزه، والناس على الرصيف وكل شيء.

...

أشعل "حسام رمضان" سيجارة وناول صديقه "كريم الحصري" سيجارة أخرى وهو يعلم أنه لا يدخن، رد كريم السيجارة ولم يرد التقاطها قائلاً كلمة واحدة "لا" سأله حسام مازحاً "ولما لا؟ أنا أراك تفعل كل شيء خاطيء فى الدنيا، لا شيء محاط بخطوط حمراء إلا وترتكبه.. ما الضير فى السيجارة لكي تقول لها لا؟" أجابه كريم "أحتفظ بصحتي للنساء" قال حسام وهو يبتسم إبتسامة خفيفة "هذا هو السبب إذاً.. النساء، ألا لعنة الله على النساء" ثم ارتمى إلى جانبه على الأريكة وراح ينفخ الدخان الخارج من فمه إلى كل مكان فى منطقة التدخين. قال كريم مكملاً حديثه: ألا لعنة الله على النساء أجمعين... إنهن يستحوذن على عقولنا، وقلوبنا، وجيوبنا، ووقتنا.. ومجهودنا وكل شيء! تعرف يا حسام، لطالما تخيلت أن حياة الرجال الناجحين تخلو تماماً من النساء، فإنه لا يفيق لنفسه، وينظر لمستقبله، ويراعي ضميره، ويصون نفسه إلا رجل خلا قلبه من النساء.. أو رجل ليس برجل.. رجل لا يملك ما يملكه الرجال.

حسام: أوافقك تماماً.. قرأت مقالاً من قبل يقول أنه وحسب دراسة... يستغرق الرجال ثلاثة وأربعون دقيقة يومياً ينظرون إلى النساء، وهو ما يعدل عام كامل من متوسط عمر الإنسان، بعيداً عن

الدراسة أقول أنا لك أن الرجال يستغرقون ثلاثة أضعاف ذلك فى تخيل النساء.. ودراسة أخرى بعيداًعن تلك أثبتت أن وجود امرأة جذابة أو امرأة يعتقدها الرجل جذابة معه فى نفس الغرفة يشوش على ذاكرته ويعطل خلايا أدمغته بشكل كبير.

كريم: أرأيت؟!

حسام: وبالتالي كون شخص ما واقع فى الحب أو يهيم بامرأة فهذا وحده كفيل أن يسرقه من وقته، ويعطل مستقبله.. وإذا كان اقترن بهذا الحب ممارسات جسدية فإنه يهدر كماً هائلاً من الطاقة، وهو ما يجعله فى خمول، ونعاس، وتقلص رغبته فى الإنجاز طوال الوقت.. فيأفل نجمه سريعاً، ينتهي مستقبله، ويضيع.

كريم: نعم هذا صحيح.. وأنظر إلى أي شخص كبير فى السن كانت له علاقات نسائية متعددة ستجده انحنى ظهره، واخشوشنت عظامه، وتكرمش وجهه.. يشيخ سريعاً...

ان النساء مهلكة ياصديقي.. أتمنى لو لا تربطني بهم علاقة لا من قريب ولا من بعيد.. أتمنى لو يزول السبب الذي يربطني بهم فلا يشغلونني مرة أخرى.. أتمنى ذلك من كل قلبي.

حسام: وأنا مثلك.. أتمنى ذلك حقاً.

أسبوع بعد ذلك
(أحداث ما بعد الكارثة)

منذ يوم استيقاظه بلا عضو ذكري.. وإلى ستة أيام تلت أحداث ذلك اليوم؛ لم يكن بإمكان "كريم الحصري" الولوج بعقله إلى صندوق اللاشيء. إذ تمتع عقله من وقتها باليقظة التامة والحيوية وسرعة الإستجابة فلم يكن بإمكانه أن يغفل... جنباً إلى جنب مع كل أعضاء جسده بما فى ذلك قلبه إذ صار أكثر تجاوباً مع الناس من حوله، والأحداث كذلك، وازداد حرارةً وعرف أشكالاً وألواناً من المشاعر.. وازدادت عاطفيته إتجاه كل شيء. أصبح إذا ركب وسيلة مواصلات ورأى مشرد ما فى الشارع، أو شخص يبدو عليه ضيق الحال، أو طفلا صغيراً يذهب إلى المدرسة بملابس غير لائقة يرق قلبه له ويظل يفكر فى حاله ويتمنى فى نفسه لو أنه يستطيع تقديم أي شيء له ليخفف عنه، وهو ما حدث بالفعل منذ يومين إذ جذب إنتباهه بائع فشار يتوسط الطريق لا يكاد يبيع شيئاً، ثم تقدم نحوه، ابتاع كل الأكياس التى يحملها والتى لم تكلفه غير خمسون جنيهاً بالمناسبة، ولم يأخذ منه بعد ذلك غير كيس واحد قائلاً له "الأكياس الباقية هدية لك" ليس هذا وحسب فكثيرة هي المرات بعد ذلك التى يتوجه فيها إلى شخص ما

على الطريق يطلب مساعدة فيخرج مما فى جيبه ويعطيه -أموالاً حقيقية وليست بضعة عملات من الفضة- وهو ما لم يعتاد عليه قبل ذلك ولم يفعله، كان يعطي حتى مع علمه أن بعض هؤلاء من الممكن أن يكون صاحب أملاك وليس فى حاجة إلى طلب المال، ويمتهن التسول إمتهاناً، ظل يعطي بوتيرة لو أستمر عليها لوجد -لحظة القبض- أنها تأكل نصف راتبه الشهري.. سبب آخر جعله يهب تلك العطايا هو يقينه بأن ما هو فيه الآن إختبار من السماء، إختبار قد يمتد لأيام وشهور أو أياً كان، وأنه إذا ما اجتاز ذلك الإختبار على نحو جيد فسيستيقظ فى يوم -بنفس الطريقة التى انتكس بها- ويجد أنه قد شفي ورجع إليه شيئه المفقود، بعد ثلاثة أيام من الكرم المفاجىء الذي نزل عليه من السماء، وبعد العطايا المفاجئة التى راح يوزعها أينما ذهب عرفه المتسولون وأخذوا يلحون عليه فى الطلب وهو لا يرفض، حتى أن بعض الباعة الجائلين أخذوا يستهدفونه ويعرضون عليه بضاعتهم لحظة ما يمر بالقرب منهم.

فى موقف "السرفيز" استوقفته امرأة مرة وطلبت منه مالاً، سألها "كم تريدين؟" أجابت "أياً كان مايبعث به الله..حلو" أعطاها خمسون جنيهاً فلم تنزل يدها ولم تفسح له الطريق، سألها "أليست كافية؟" قالت "بلى كافية.. ولكني أحتاج ورقة أخرى" صدقاً.. لقد تمنى لو يجرها على

أرضية "الموقف" من شعرها، ثم يلقيها بعد ذلك أسفل عجل أقرب سرفيز يمر.. فعل ذلك فى عقله وتخيله، وظهرت نواياه على وجهه، فخافت منه المرأة وراحت تقول بمسكنة زائدة "لو معكش خلاص.. ياولدي خلاص" إلا أنه تذكر اختباره فأعطاها، وقبل أن يبتعد سمعها تقول بصوت مسموع لسائق استهجن فعلتها "أعطاه الله من خيرات الأرض يبعزقها هنا وهناك بلا حساب.. ويبخل علي أنا بمائة جنيه؟!" توقف كريم فى منتصف الطريق وراحت تحدثه شياطينه أن يعود إليها، فطن إليه السائق فقال مخاطباً القلب الطيب داخله "دعك عنها ياعم.. ست غلبانة ولا تفقه من الأمر شيء" أجابه كريم "ألا تسمع ما تقول؟!" قال له السائق "إنها لا تدري ما تقول"... فى أيامه السابقة أيضاً ازدادت حاجته للطعام، وراح يأكل ما يصل عدده إلى خمس وجبات فى اليوم الواحد، راح يأكل بشهية كائن مفترس.. شهية أسد مكتمل النمو.. أو ربما فيل. أخذ بنصيحة والدته التى أعطتها له لحظة ما أراد الانتحار.. سجل إسمه -مشتركاً- فى صالة رياضية قريبة، وراح يزورها باستمرار بمعدل أربع ساعات يومياً تفريغاً للكم الهائل من الطاقة والنشاط اللذان عصفا بجسده مؤخراً، ورغم كمية الطعام الهائلة التى يلتهمها يومياً لم يشعر بأي زيادة فى الوزن، بل العكس هو الذي حدث إذ شعر كما لو أن وزنه يقل، وجسده يزداد صلابة ونحافة وقوة كل يوم، وكتلته

العضلية كذلك تزداد حجماً وتناسق.

تقلصت ساعات نومه من تسعة وعشرة فى اليوم إلى خمسة ساعات فقط ولم يحس بالفارق، تجاهل خطيبته سلمى فلم يعد يقابلها أو يرد على مكالماتها فتجاهلته هي بدورها، خلا قلبه من النساء فليس -بعد الآن- يتعلق بهن ولا يتعلقن به، وخلا عقله كذلك فلم يعد يتخيلهن، ولم يعودوا يزرنه فى أحلام النوم واليقظة، ونتيجة لما سبق وجد نفسه فى فراغ تام وشعر كما لو أن الساعات فى اليوم قد ازدادت... لم يكن راضياً عن الطريقة المهينة التى يعاملونه بها فى العمل فسعى لتغييرها وتغيير واقعه ككل، جذب كتبه القديمة وشرع يبحث عن كل الأشياء التى يجهلها فى العمل، كل الأشياء التى لم يأخذها على محمل الجد -وقت دراسته- راح مرة أخرى يقرأ عنها ويدرسها، أخذت الكلمات تنساب إنسياباً أمامه، والمعلومات تلتصق بذهنه دون عناء أو جهد، وأيقن تمام اليقين أن القراءة هي الشيء الذي افتقده طوال حياته وأنه لن يتخلى عنها بعد ذلك أبداً. راح يقرأ عن الطهي، والطهي الصحي، وطرق الطهي الحديث، والبرسونال هايجين، والهاسب، والصوصات الخمسة الأم وتاريخها ومشتقاتها، والوصفات بشكل عام. والمعلومة التى لم يجدها فى كتبه راح يبحث عنها على الإنترنت، وبحثه على الانترنت قاده إلى كتب أخرى خارجية فراح يبحث عنها فى المتاجر الإلكترونية ويطلبها. جلب

معه نسخاً من كل قوائم الطعام التى تقدم فى الفندق حيث يعمل، كل القوائم التى تقدم على مدار الأسبوع، حفظها كلها بوصفاتها الحقيقية لا البدائل، وراح يراجعها صوت وصورة من كبار الشيفات العالميين على اليوتيوب. قام بمتابعة كل منصات الطاهي العالمي "جوردن رامزي" وشاهد مواسم عديدة من برامجه "hell's kitchen" و "kitchen nightmares" أعجب بشخصيته وكاريزمته، وسيطرته على الطهاة الآخرين معه داخل المطبخ.. راح يراقب كل حركة يصدرها، وبينه وبين نفسه علم كريم أنه سيقوم بمحاكاته بغرض إظهار سيطرته وفرض واقع جديد فى مكان عمله... من المظاهر الشائعة فى المطابخ التى تتبع العمل الفندقي هي تلك الرابطة بين الشيف الكبير والشيفات الصغار الذين يتبعونه، فدائماً ما يكون بينهم فتى يطمئن إليه ذلك الشيف الكبير -هذا ان لم يكونوا كلهم- ويثق به فيتبعه فى كل مكان، ينفذ تعليماته بعناية، وفى المقابل يعطيه الشيف الكبير الوصفات المعمول بها ويعطيه كذلك نصائح عن الحياة والعمل.. وهي علاقة تشابه علاقة الأب والابن فى كثير من جوانبها، ودائماً ما يشير إليهم بقية الطهاة فى المطبخ بذلك، وحيثما ذهب الشيف الكبير إلى مكان يقال للصغير "ها قد ذهب أبيك" وإذا ما عاد من مكان يقال له "ها قد عاد أبيك" تلك العلاقة موجودة داخل كل مطبخ تقريباً، بل هي بشكل أو بآخر متواجدة داخل كل قسم من أقسام المطبخ

المختلفة.. لم يختبر كريم هكذا شيء من قبل وإن رآه مرات عديدة، ولم يأتي أبداً على باله أنه وان اختبره فسيكون ذلك مع طاهي يعتبره من عالم آخر غير عالمه، ويفصله عنه -تقريباً- نصف الكرة الأرضية، وذلك الطاهي الذي قرر أن يتطلع إليه هو بالطبع الطاهي البريطاني الشهير "جوردن رامزي" وهو طاهي متميز له سلسلة مطاعم متواجدة فى كثير من بلدان العالم، ومتوج بكثير من الجوائز أهمها جائزة "نجمة ميتشلان" الفرنسية التى حصل عليها ثلاث مرات بشكل شخصي فى مطعم كان يديره، وأربعة عشر مرة أخرى كمالك لمطاعم نالتها، تبلغ ثروته ٨٠ مليون دولار حسب إحدى الإحصائيات.. ومن الأمور المشتركة التى وجدها كريم بينه والطاهي الشهير هي؛ الدراسة الفندقية، وفقد الوالد فى سن صغيرة، والمعاناة أثناء الطفولة..إلخ. وهو ما زاد الدافع لديه أكثر ليقتفي أثره. قاده بحثه عن جوردن رامزي إلى كنوز عدة يقدمها جوردن رامزي منها كتبه فى مجال الطبخ ومنها سلاسله التعليمية التى يعرض اثنان منها على اليوتيوب Gordon ramsay lessons وهو تقديم مبسط عن أساسيات فن الطهي، و hell's kitchen recipes وهو عبارة عن شرح مبسط لكل الوصفات التى تقدم فى برنامجه الذي يحمل نفس الإسم، ويقوم بالتقديم واحدة من الطهاة المساعدين له فى البرنامج ذاته... وجد "كريم" فى هذا الرجل كل شيء يتطلع إليه، وجد المعرفة،

والتفوق، والنجاح، والشخصية الآثرة المسيطرة صاحبة الكاريزما، والمال، والهدف.. لقد وجد فيه ضالته.. إنه بحق أب المهنة الذي لطالما حلم به، ولقد علم وهو يشاهده ويتابع أخباره أول بأول أنه معه سوف يصل إلى كل شيء يريده فى هذا المجال.

عادات جديدة

لا تذكر السيدة والدة كريم آخر مرة وضبت فيها غرفته ذلك لأنه ومنذ مدة لم تعد تحتاج إلى توضيب، كل شيء داخلها نظيف ومرتب طوال الوقت، ولا يوجد أي شيء في غير مكانه.. ليس إلا تلك الكتب البعثرة التي اعتاد عليها مؤخراً -وهو ما لم يعتاد عليه قبل ذلك- حتى غياره المتسخ لا يدعه في الغرفة وإنما بات يودعه في سلة الغسيل إلى جانب الغسالة أولاً بأول، والغيار النظيف يأخذه من على المنشر قبل أن تأخذه هي، ويودعه في دولابه مطبقاً. لم يعد يعطيها سبباً واحداً لتدخل عليه غرفته ولم تعد هي في حاجة إلى سبب.. تفهم من ذلك أنه يريد المزيد من الخصوصية لنفسه، وهذا شيء لا يمكنها أن ترفضه.. حتى وان تزرعت أسباباً لتدخل لن تجد طريقة فلقد بات منذ دخوله يغلق بابه عليه ولا يصدر صوتاً. مثيرة للريبة التغييرات الكثيرة التي حدثت لكريم مقارنة مع هذا الوقت القصير الذي حدثت له فيه، شيء لم تستسيغه نفس والدته، وشعرت على الفور بالغرابة منه، إلا أنها كلها تغييرات إيجابية فلم تراعي كثيراً، وبغير أن تسأله قررت أن تسكن إلى فكرة أنه استبدل شلة "الصيع" الذين اعتاد التسكع معهم بشلة أخرى أفضل، لعلهم هم أولئك الفتيان الذين تراه يذهب معهم

إلى الصالة الرياضية يومياُ، والصالة الرياضية منذ البداية كانت فكرتها لذلك لا يسعها أن تتزمر الآن أو تظهر بمظهر المتزمر، صحيح أنها قالتها فى وقت تقصد فيه المزاح إلا أن هذا لا يهم، وبالنظر إلى النتائج التى ترتب عليها ذلك تندم على عدم مزاحها معه بتلك الطريقة منذ زمن.. تقول لنفسها "المهم أنه اعتدل" ومع ذلك تخشى كل الخشية أن تصيبه من بعد اعتداله إنتكاسة، فإنها امرأة عاقلة وليس بحديثة السن، وهي كما يقولون "لفت ودارت" وتعرف أن الأشياء السريعة الظهور تكن دائماً سريعة الإختفاء... وإذا ما استنفذ الشخص كل جهده فى الدفعة الأولى سيفرغ صبره سريعاً وسيعود قبل أن يكمل حتى منتصف الطريق. وبقدر ما كانت الدهشة عند الإندفاع السريع.. تتكرر ثانية وقت الإنسحاب السريع.. على كل حال تتمنى لو أنها مخطئة، تتمنى ذلك من كل قلبها. أرادت لو تسأله عن حاله وإذا ماكان يريد شيئاً إلا أن أشياء كثيرة تمنعها من ذلك أهمها أنه لم يعد يريد التحدث إلى أحد، حتى هي.. لكنها طاوعت نفسها رغم ذلك، نهضت من حيث تجلس، تقدمت إلى باب غرفته ونقرت عليه بيدها ثلاث نقرات.

كريم: نعم يا أمي؟

– أتفقد إذا ما كنت تحتاج شيئاً؟

كريم: لست أحتاج شيئاً.

– متأكد.. أنك لست تحتاج شيئاً؟ لا غيار متسخ تناوله لى، ولا تريد توضيب غرفتك حتى؟

كريم: لا شىء يا أمي... لا شىء.

– لن تأكل حتى؟

كريم: لا تهتمي لذلك.. إذا ما جعت فسأجد ما آكله.

داخل غرفته النظيفة، المرتبة، والمغلقة غلقاً تاماً نزع كريم عنه كل ملابسه ليس لينظر إلى شيئه المفقود لأن هذا شىء كان قد اعتاده منذ يومه الرابع، ولكن ليتفقد الهيئة الجديدة التى راح –شيئاً فشيئاً ومع مرور الأيام– جسده يكتسبها. فمنذ أن فقد شيئه فقد معه كثير من الرغبات، وأزيحت عن جسده الكثير من العمليات التى تجعله فى إرهاق دائم وتثقل كاهله. ان العضو المفقود مترابط ارتباطاً وثيقاً مع الدماغ والقلب.. معروف أن الإنسان حينما يشعر بالإثارة يرسل الدماغ إشارات إلى القلب، والقلب عند إستقباله لتلك الإشارات يزيد من مسؤليات دورته الدموية، يفتح قناة أخرى جديدة فى الجسد.. يضخ الدم بكميات كبيرة إلى ذلك العضو فينتشر فى أوردته ويكبر، وهي عملية لا تقوم إلا بجهد جهيد من قبل الدماغ والقلب، ناهيك عن أنها عملية مستهلكة لكم كبير من الهرمونات التى تجري عند خروجها فى

مجرى البول، هرمونات لو تركت فى الجسد لساعدت فى نموه، وزادت من صلابته، وهو بطبيعة الحال ما يحدث الآن، وما يجبر كريم على النظر إلى جسده بافتتان. إن حالة الإنتعاش التى يشعر بها هذا الجسد سببها أنه اعتاد -بكل عضو فيه- على العمل الشاق لوقت طويل، وفى بعض الأيام بمناوبات إضافية ووقت زائد، وكل ذلك نتيجة إلى الجهد العاطفي والبدني الكبير الذي كان قبل ذلك يبذله. ثم إذا به فى يوم وليلة يجد نفسه يعمل عمل أقل جهداً وبنصف الوقت الذي اعتاد عليه، وزاد غذاءه وقل هدره.. ورغم أربعة ساعات يقضيها كريم فى الصالة الرياضية يومياً إلا أن الطاقة تندفع داخله اندفاعاً متهوراً ويشعر كما لو أنه سيلكم الحائط بيديه. أمامه مرآة حائط تزداد عليه فى الطول بقدر خمسة سنتيمترات، إبتاعها بعد يومه الأول فى الصالة الرياضية، وقف أمامها وبعد حالة الافتتان الأولى التى غمرته.. أصيب بخيبة أمل وشعر بالتقزز، تلك النظرة التى ألقاها على جسده العاري بالكامل جعلته يوافق "حسام رمضان" فى رأيه الذي اتهمه فيه بابتعاده عن النظافة الشخصية، وعدم اتباعه لاشتراطاتها الخمسة التى وضعها حسام بنفسه.. ولكن "كل هذا ينتهي الآن" هكذا قال لنفسه، جلس على الأرض وقام بتقليم أظافر يديه وقدميه، ثم دخل إلى الحمام ليستحم وقبل أن يستحم قام بإزالة كل شعرة فى جسده حرفياً ما عدا شعر الرأس

والوجه. خرج بعد أن جفف جسده تماماً من الماء، وضع مزيلات العرق، ومرطبات البشرة، ورش كولونيا على مناطقه الحساسة، وكذلك ما بين أصابع قدمه، وضع كريم الرأس وهذب شعره، ارتدى رداءً عادياً، وذهب إلى أقرب صالون حلاقة فوجده فارغاً، دخل على الحلاق وقد كان جالساً يعبث فى هاتفه، قال له كريم بعد تبادل التحية بينهما "سأقرأ الفاتحة قريباً" أجابه الحلاق مستبشراً "ألف مبروك.. جئت إلى المكان الصح.. ماذا تريد أن تفعل بالضبط؟" قال كريم "كل شىء" ولم يكن فى حاجة إلى أن يقول أكثر من ذلك.. استلمه الرجل من حيث يجلس ولم يخرجه من صالونه إلا بعد ثلاث ساعات كاملة، فلقد أزال له شاربه وذقنه النابتة، وصنع له تدريجة فى شعر رأسه "دوران" تبدأ من درجة "الزيرو" ترك له شعر أعلى رأسه وهذبه تهذيباً فقط ثم جففه مستخدماً السشوار، وصففه له تصفيفة منتصبة غاية فى الجمال، حرث خطين فى رأسه مستخدماً موس الحلاقة، وبنفس الطريقة صنع قطع طفيف فى حاجبه الأيسر، هذب له حاجباه وقام برسمهما رسماً دقيقاً، وقام بتنقية الوجه من الشوائب والشعيرات المتناثرة عليه مستخدماً الفتلة، أعطى وجهه حمام بخار لم يأخذ من وقته غير خمسة عشر دقيقة لكي تتفتح مسامه جيداً، بعد ذلك وضع عليه الماسك "للتنظيف العميق" وانتزعه عنه بعد مرور أقل من ساعة.. صفف له شعره للمرة الأخيرة ورطب له

بشرته باحدى الكريمات، ورش عليه قليلاً من الكولونيا المنعشة برائحة الليمون التى تحتوي على الكحول. ثم نفض عنه الفوطة وقال مستبشراً "نعيماً"

كريم: نعم الله عليك.. تسلم ايدك.

الحلاق: لقد صرت رجلاً جديداً.. أظن عروسك ستأخذ وقتاً لتتعرف عليك.

كريم: هذا صحيح.. ومرة ثانية .. سلمت يداك.

ثم ناوله مائتين وخمسون جنيهاً مصرياً وخرج.

كريم: تمام؟

الحلاق "وقد قام بوضع المال فى جيبه دون أن ينظر إليه": تمام.

صندوق ال كل شىء

يتذكر "كريم" فيلم "lucy" من بطولة الممثلة العالمية الجميلة "سكارليت جوهانسون" الذي شاهده مع "سلمى" مرة فى إحدى السينمات، وبالتحديد يتذكر ذلك المشهد منه، للممثل العالمي "مورجان فريمان" وقد كان يقوم فيه بدور باحث علمي يلقي محاضرة على باحثين آخرين وطلاب جامعيين فى قاعة جامعية مرموقة، أخذ يتكلم عن قدرات العقل البشري.. وكيف أن للعقل البشري قدرات غير محدودة لم يستطع الإنسان -رغم كل منجزاته منذ العصر الحجري القديم وإلى الآن- أن يستخدم إلا عشرة فى المائة فقط منها، وقد جاء على لسانه، وبناءً على الفرضية العلمية التى يحاضرها أن الإنسان إذا ما تمكن من استخدام عشرون فى المائة من قدرات دماغه فإن ذلك سيمكنه من السيطرة سيطرة تامة على كل خلايا جسده، وهو ما سيؤدي إلى كثير من المعجزات الخارقة للعادة، أما فيما يخص قدرته على إستخدام ما هو أعلى من ذلك من قدرات الدماغ؛ ثلاثون فى المائة مثلاً. فإن هذا سيمكنه من التحكم فى الطبيعة والمادة من حوله بطرق مقاربة للخيال العلمي، على سبيل المثال قدرات الشخصية "ماجنيتو" من فيلم "x-men" وهكذا كلما ازدادت نسبة قدرة الإنسان على التحكم فى قدرات الدماغ اللامحدودة

تزداد سلطويته على الأشياء والأشخاص من حوله ويزداد علمه، وهو ما أثبته الفيلم فى باقي أحداثه بالمناسبة مع العلم أنه مبني على قصة خيال علمي. ومن هنا يعتقد كريم أن قدراته العقلية تغيرت بشكل كبير من بعد الحادثة عما كانت عليه قبلها... لم تزداد قدراته العقلية أو تتقلص، وإنما حجم الإشغال فيها وحجم الضغط عليها هو الذي تغير، فإنه وحسب الفرضية التى جاء بها الفيلم على لسان البروفيسور "ساموبل نورمان" الذي قام بدوره الممثل "مورجان فريمان" كما أسلفنا.. لو أنه لديه قدرة التحكم الطبيعية على دماغه والتى هي تقدر بنسبة عشرة فى المائة فقط من القدرات الهائلة للدماغ فإن نسبة ستة من عشرة على أقل تقدير من تلك المقدرة كانت تسيطر عليها -ماقبل الحادثة- بشكل تام غرائزه. ونسبة تسعون فى المائة من تلك الستة من عشرة هي للغريزة الجنسية وحدها، أي أن هذا الحيز كله كان مستحوزاً عليه من قبل النساء ومحجوزاً لهم، وبذلك لم يكن يتبقى له غير نسبة أربعة فى المائة فقط يكمل بها باقي مهام يومه، ويتعامل بها مع أنشطته المختلفة، ونسبة الأربعة فى المائة تلك كما جاء فى الفيلم هي نسبة الذكاء المعتادة لدى معظم حيوانات الغابة. وعلى هذا الأساس يكون القدر الكبير من البلاهة وسوء التدبير والضياع الذي كان يعصف به قبل ذلك مبرراً، وعلى هذا الأساس أيضاً يكون القدر الكبير من اليقظة والحيوية والألمعية والذكاء الذي عصف

به بعد ذلك مبرراً. ولعل سيرة المحارب القبلي "أليكس بيريرا" ليست بعيدة عنه، وهو مقاتل فنون مختلطة يلعب للمنظمة القتالية العالمية "UFC" وهو أحد الأشخاص الذين يتطلع إليهم ويتخذهم قدوة، بدأ بمتابعة أخباره إلى جانب كل أخبار المنظمة التى ينتمي إليها منذ ذهابه إلى الصالة الرياضية.. "أليكس بيريرا" هو واحد من أشرس لاعبين الفنون القتالية المختلطة على هذا الكوكب، بطل الوزن الخفيف الثقيل الحالي، وكان قبل ذلك بقليل بطل الوزن المتوسط.. الشيء الملفت فى سيرة بيريرا بالنسبة لكريم هو ذلك النزال القديم الذي شاهده له ويعود إلى العام ألفين واثنتا عشر، كان عمره حينها خمسة وعشرون عاماً وهو عمر يتوقع منه فيه أن يكون أقوى من الآن، عمر من المفترض أن يكون فيه فى أوج عطائه لكن أياً من هذا لم يحدث... خسر أليكس بيريرا هذا النزال ضد مقاتل أضعف ما يكون مقارنةً بمقاتلين منظمة "ufc" الأشداء الذين يبارون المحارب القبلي الآن، وقد بدا فيه ضعيفاً وخائباً إلى حد مثير للشفقة إذ راح يتلقى الضربة بعد الضربة دون أن يرد، وعيناه زائغتان، ويداه يرتعشان، وجسده من أقل لكمة يتهاوى ويسقط، لقد كان أقرب شبهاً بفتاة صغيرة تخطو أولى خطواتها. وفى وثائقية عن حياته شاهدها كريم بعد ذلك، أفصح "أليكس بريرا" أنه اعتاد أن يدمن الكحول ويشربه بشكل يومي إلى جانب العديد من

المحظورات الأخرى منذ سن السادسة عشر، وربما يعود تاريخ إدمانه إلى ما هو أقدم من ذلك، وحينما تم سؤاله عن ذلك النزال بالذات قال" قضيت عامين قبل ذلك وأنا أحاول التوقف عن الشرب، لقد كان الموضوع صعباً للغاية لذلك لم أستطع المقاومة وتحطمت" وفى تعليق عن أحداث المباراة قال "فى العام ألفين واثنتا عشر كنت أقاتل "جيسون ويلنس".. وحينها -عند تلقي الضربة القاضية- قلت لنفسي أنه علي التوقف أو أن حياتي بالكامل سوف تنهار" ولقد ظن كريم أن تلك المباراة هي معجزة "أليكس بيريرا" التى وضعته بعد ذلك على الطريق الصحيح، وجعلت منه الوحش الذي هو عليه الآن. تماماً مثل حادثة كريم التى من المفترض بها أن تقوده إلى الشيء ذاته.. فقد كريم لشيئه هو معجزته إلا أنها معجزة فى طور الإكتمال ولازالت لم تنقضي بعد. والممنوعات التى كان يتعاطاها بيريرا مع الكحول هي نفسها النساء فى حياة "كريم الحصري" وما النساء إلا نوع آخر من المخدرات وله نفس الخطورة. وإدمانهن كما الكحول والمخدرات، إذا زاد عن حده يجلب نفس الويلات، وله نفس المخاطر؛ هكذار صار كريم يفكر مؤخراً، وهكذا هي الطريقة التى اهتدى إليها لتعينه على فاجعته واختباره. وكان ذلك هو التغير الأبرز الذي ألم به مؤخراً، كونه صارت له مفاهيم ومبادىء خاصة به.. وعلى تلك المبادىء قرر أن يسير.

بائعة السمك

ازدادت ثقة "كريم" فى نفسه مؤخراً مع ازدياد إهتمامه بمظهره بشكلٍ مطرد، ووصلت به إلى حد الغرور إلى درجة أن الناظر إليه من بعيدٍ يظنه رجلاً مكتمل الرجولة، وليس ينقصه فى الحياة شىء، رغم حقيقة الأمر إلا أن هذا هو ما يتراءى إلى الناظر... انتصب ظهره، وطالت رقبته، وانتظمت مشيته، وانفرط عوده، واشتدت أعصابه حتى ليخيل إليه أنه لو يوجه لكمة إلى حائط.. تنفذ. هندامه طوال الوقت نظيف، شعره على الدوام مصفف، حذاءه لا تفارقه لمعة الورنيش فى أي ساعة من ساعات اليوم، ورائحته أجمل من أي وقت مضى. لبسه كلاسيكي هادىء الألوان وسادة.. يكويه بنفسه، القميص طويل الكم؛ يثنيه حتى الكوع فيبين عن عروق يديه النافرة. شنطة ظهر سوداء لا تفارقه طوال النهار منذ يخرج وحتى يعود، سماعة بلوتوث صارت جزءاً من أذنه، ونظارة شمس على وجهه تحت أشعتها.. وفى الظل مكانها فتحة القميص. أصبح يجذب أنظار الكثيرين أثناء سيره، شباب يحقدون عليه، كبار يترقبونه، مراهقات يتمنون لو يعبرهم... و بائعة السمك. كانت تطيل النظر إليه منذ يركب أول الطريق وحتى يعبره، وتحدق فيه بلا حياء تحديقاً، وكلما صار على مقربة منها أو خيل إليها أنه ينظر؛ تعدل

من هندامها أمامه.. وإذا كانت لها رجل ممدودة أو كف مسنودة تعيدها إليها فى عجالة. ردائها الذي ظنه يوماً ما نسخة واحدة من كثير من الرداءات المتشابهة التى تحب إرتدائها علم مؤخراً أنه واحداً وحيداً... إذ صارت تغيره يوم بيوم، وبات يرى عليها تغيراً ملحوظاً. هم أكثر من مرة لو يكلمها أو يلقي حتى عليها السلام إلا أن انعدام الجدوى من هكذا فعلة -نظراً لحالته- ورائحة السمك التى تحيط بها دائماً ما يجبرانه على التراجع، ندائها المعتاد على الزبون "يلا يا سمك.. أحلى سمك يا سمك" عيناها يخترقانه إذ يمر، وتسلطهما عليه بشكل أكبر لحظة ما يعطيها ظهره.. مرة وهي جالسة يدها على خدها، ترتدي عباءة سوداء زادتها فتنة، وطرحة من نفس اللون، أخذت تنظر إليه بلا حياء وما إن اقترب منها راحت تنادي "لعبي وملكش أمان يا سمك" بصوت هادىء وحنون، فلقد غيرت ندائها المعتاد وغيرت كذلك نبرتها، وهو ما اعتبره بمثابة استدعاء. التفت إليها وقد كان يرتدي نظارته فرآها تغمز.. لم يشعر -فى قلبه- إتجاهها بأي شىء رغم أنها مازالت على نفس القدر من الجمال والفتنة، أقبل عليها بدافع من الغرور وإقباله هذا لم يكن وراءه أي نوع من أنواع الانجذاب الغريزي، ولأجل الغرور والفضول فقط قرر أن يسايرها، رمى السلام عليها فردت ثم سألها: بكم السمك اليوم؟

– مائة وعشرين.. لك ببلاش.

كريم: تسلمي يا قمر.

ثم ابتاع منها كيلو ونصف، ولم يأخذهم معه، أخبرها أنه أثناء عودته يأخذهم وهو ما لم يحدث أبداً، قرر أن يترك الكيلو ونصف هكذا معلقون إلى الأبد لكي تنادي عليه كل مرة ليأخذهم وكل مرة تنادي عليه يسألها عن أحوالها، يوثق علاقته بها شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى نتيجة ما.. أثناء مقابلته الأولى معها رأى كحلاً ثقيلاً على عينيها لم يكن قبل ذلك يلحظه، وجهها ليس وجه سيدة أربعينية، وإنما هو وجه امرأة فى أواخر العشرينات، جسدها كما تراءى له وكما يهمس لنفسه "لا غلطة فيه" إلا أن بعضاً من آثار الخلفة تظهر عليه.. وليس طفل واحد بل أكثر، رآها فعلم أن المسافات قد خدعته فيها.. وأنها أكثر فتنة مما كانت عليه فى أحلامه وأكثر جمالاً، وكثير من أثار الشقاء عليها لو أزيلت لصارت أشد فتنة من أي امرأة أخرى رآها فى حياته، وتلك الآثار نفسها هي التى خدعته فيها وخيلت إليه أنها ربما تكون فى سن الأربعينات. نجحت خطته فى استدراجها، وهي وكما توقع إليه ميالة.. إسمها الذي عرفه منها هو "رغدة" لها ثلاثة من الأبناء أصغرهم عمره ثلاث سنوات والأكبر ثمانية، حينما يسألها عنهم تقول: "عمر" الصغير غلبان وفى حاله، الوسطاني "سامح" قلبه مثل سفينة ويسع من الحبايب

ألف، وأكبرهم "نادر" هادىء وراسي ومسئول عن بقية اخوته.

لا تكتفي بأسمائهم وأعمارهم فقط وإنما تظل تعدد محاسنهم، بنفس أسلوب البائع الذي يعدد فى محاسن سلعته لمشتري محتمل، تفعل ذلك من اعتقادها أنه يريد الارتباط بها، واعتقادها هذا هو مايجعلها تجيب عن كل أسألته باستفاضة وبالتفصيل الممل، حتى تلك التى تلامس أشد تفاصيل حياتها خصوصية. سألها عن زوجها فقالت "ملاوع.. أوقعني حظي فيه، اختطفته مني سائحة.. هرب معها وترك لى الشقاء والفقر والأولاد" سألها إذا ما كانت على ذمته فأجابت "تكفل الله بالشر.. بل طلِقتَ منه بقرار محكمة" ومع كل سؤال يسأله تعطيه الإجابة التى تقربه منها أكثر وأكثر، وعندما سألها عما إذا كانت تستطيع أن تخرج معه فى يوم، أجابته إجابة قاسية جعلته يعيد التفكير أكثر من مرة، قالت "لو أغيب يوم.. يجوع الأولاد".

على الرصيف المقابل من الشارع حيث تجلس "رغدة" مطعم مشويات متواضع إسمه من إسم مالكه "نادر التركي" كان معتاداً على أن يبتاع منها خمسة كيلوات فى اليوم الواحد، عادة ظل ملتزماً بها منذ يومها الأول فى السوق، ولم ينقطع عنها إلا فى الأيام الأخيرة حينما بدأت زيارات كريم المتكررة إليها.. تقول رغدة عن ذلك "منذ رآني وعيناه لا يفارقاني أبداً، أخبرني مرة أنه يريدني زوجة ثانية له فرفضت"

كريم: لماذا رفضتي؟

قالت "لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين، إنه لعبي آخر، من نفس طينة زوجي السابق... ثم أنه وضع شرطاً تعجيزياً أمامي، قال لو نتجوز تتركي أولادك، وهو ما لا أستطيع عمله" صمتت قليلاً كأنها تفكر وبعدها قالت "ثم أنه ليس جميلاً جداً كما تعلم، لا يفتح النفس... مثلك" وبحركة خاطفة لم يراها أحد فى السوق لامست يده. فأوقعت قلبه فى رجليه، وبعثرت ثقته وغروره فاضطرب، ظنت وهي تراه أنها واحدة من اضطرابات الهوى التى تصيب العشاق.. بينما كل ما فكر فيه هو أنه لا يفتح النفس.. بل لا يستطيع أن يفتح أي شىء على الإطلاق، ولا حتى علبة تونة.

...

عاد إلى البيت فى يوم ففوجىء بزيارة من خاله الأكبر، قد جاءهم من الصعيد مع ثلاثة من أبناءه، وقد كانوا جالسون جميعاً، خاله وأبناء خاله ووالدته وأخيه الصغير محمود. وعلى ما يبدو أنهم ينتظرونه، ووقتما دخل حياهم جميعاً وسلم عليهم واحداً واحداً، ثم قال لما رأى والدته وأخيه مرتدون ملابس مغايرة: ما هذا يا أمي.. أنتى ذاهبة إلى البلد؟

أجابته: نعم، وأنت أيضاً قادم معنا.

قال كريم: لست ذاهب إلى أي شىء.

حينها سعل خاله دون أن يتحدث سعلة مقصودة، رفع هاتفه لكي يراه الجميع وقال: اليوم هاتفني والد خطيبتك "سلمى" شكاك لى.

كريم: ولم عساه يفعل ذلك؟

قاطعه خاله: إني يوم ذهبت لأخطبها لك كنت أضع ميثاقاً غليظاً على عنقي أنا قبل عنقك، فأنا الذي أخطبها لك ولولاي ما كانوا ليوافقون.

حينها أضافت والدة كريم: نعم ياأخي.. صحيح.

فأضاف: ثم لو أنك لا تريدها منذ البداية، ولعلك كنت تغامر وتغامر بنا معك...

قاطعه كريم: ليس صحيحاً.. كل الحوار أني لست جاهزاً الآن.

حينها قال خاله: لا تقول أنك لست جاهزاً فأنا أستطيع أن أجوزك بها الآن وبإشارة من يدي، لكن هل ستصونها؟

ثم وقف وتقدم إلى كريم، أشار إلى الخطان الغائران فى رأسه "وما هذا؟" ثم ضحك "ليس هذا وحسب.. بل أصبحت ترسم حاجبيك أيضاً؟" ثم نظر إلى والدة كريم وقال "كيف تسمحين بهذا؟" فلم ترد. "ليس هذا كل شىء.. أعطوني لحظة" رفع خاله هاتفه مرة ثانية وأخذ

يعرض عليهم صور له هو و"رغدة" يتحدثون مرة، ومرة يتضاحكون، وفى واحدة من الصور كانت تمسك يده.. ولقد كان مصدر الصور كلها كاميرات المراقبة الموجودة على الرصيف المقابل أعلى مطعم مشويات "نادر التركي"... عرض خاله الصور عليه ثم على والدته ثم أبناء خاله بل عرضها حتى على أخيه محمود الصغير. فعل خاله ذلك وقال "لقد ظننتك رجلاً ياكريم.. وأنك تغالب طباع أبيك الدنيئة داخلك ولست تكون مثله، لكن يبدو أني أخطأت وهي واحدة من الأخطاء القليلة جداً التى ارتكبتها فى حياتي... وأنا عازم على تصحيح ذلك الخطأ"

كريم "متسائلاً": ومن ثم؟

خاله: لا زلت صغيراً ويمكن تقويمك.. ستأتي معي البلد وستعيشون هناك جميعاً أنت وامك ومحمود الصغير.

قال كريم: لست أوافق على هذا الكلام.

حينها أشار خاله إلى أبناءه الثلاثة وقال: تعرف أبناء خالك أنت.. لطالما لعبت معهم صغيراً.

أجاب كريم "نعم أعرفهم" وقد هاله منظرهم وطولهم، تقريباً فى نفس طول وعنفوان صديقه "حسام رمضان" يبدون كما لو كانوا ثلاثة نسخ منه غير أن هؤلاء يرتدون الجلابيب. نظر خاله إلى أبناءه وإليه ثم

قال "أريده فى السيارة خلال خمسة دقائق.. تلاطفونه.. تجرونه.. تقتلونه قتلاً.. لا يهم.. المهم أني أريده فى السيارة" ثم نزل وأخذ أم كريم معه وأخذ الطفل محمود، كانت تلك هي اللحظة التى فكر فيها كريم فى الهرب. قال لأبناء خاله "أعطوني فرصة أجلب ملابسي" أجابه أكبرهم "لن تحتاجها، فمن هنا ورايح يصر أبي على أن ترتدي جلباباً" ثم أشار إلى أخواه فأحاطا كريم وأحاطه هو، وما هي إلا لحظات مرت حتى وجد نفسه بعدها معهم داخل السيارة، وهي تجري بهم على الطريق... مرسيدس بينز ٥٦٠sec موديل ٩١ لم يكد يسمع لها صوتاً وهي تشق طريق قنا-البحر الأحمر الصحراوي، جلس خاله خلف الإطار وجلست أخته أم كريم إلى جانبه ومحمود الصغير على حجرها، وفى الكنبة الخلفية انحشر كريم إلى جانب أبناء خاله الثلاثة وقد وضعوه فى وسطهم ولم يتركوا له جانب الشباك، راح طوال الرحلة يفرك من الضيق على الرغم من أنهم جميعاً يجلسون هانئين ومرتاحون البال. طلب "كريم" مفاتيح شقتهم من والدته، لم تشأ أن تعطيها له، إلا أنه أخبرها أنه فقط يريد قصافة الأظافر المعلقة بالمفاتيح فأعطتها له، راح طوال الطريق يتصنع بقصه أظافره، وبين الحين والآخر يلقي سؤال ما...

كريم: على كده يا خال.. أين سنعيش؟

– فى بيت العائلة، شقة أعددتها لكم.

يصمت قليلاً ويعود ليسأله مرة أخرى: على كده ياخال ماذا سأعمل..

– فى أرض جدك، ستزرع وتقلع. قالها ضاحكاً فضحك معه كل من كان فى السيارة، ما عدا كريم وحده.. لم يضحك.. انعطفت السيارة بهم فى منتصف الطريق، إستراحة جانبية مزدحمة بقرب الكيلو مائتين، نزلوا جميعاً، جلبوا طعام ووضعوه على طاولة داخل المكان وجلسوا، أكلوا وأكل كريم، فرغ من الأكل سريعاً ثم ذهب إلى دورة المياه ليغسل يديه، وهناك راح يتلفت حوله وتأكد تماماً من لا أحد يراه، ثم صعد إلى سقف دورة المياه والذي لم يكن منخفض الإرتفاع بالمناسبة، بل على العكس من ذلك كان عالياً.. استعان عليه بصندوق نفايات موضوع جانباً، صعد إلى السطح ثم تمدد، وضع يده اليمنى على عينيه ليحجب الضوء الساطع للشمس وقرر أن ينام. بعد دقائق سمع أبواب دورة المياه فى الأسفل تفتح وتغلق بقوة، ثم صوت خاله وهو يزعق.. وآخر شيء سمعه قبل أن يضع سماعة البلوتوث على أذنيه هو صوت ثلاث صفعات أنزلهم خاله على وجوه أبنائه الثلاثة رنوا فى المكان رنيناً عالياً ووصلت صدحاتهم إليه.

لم ينزل من على سطح دورة المياه تلك إلا بعد مضي خمسة ساعات

كاملة، حتى مع علمه أنهم جميعاً باتوا فى البلد منذ ساعات الآن إلا أنه خشي أن يكون خاله قد ترك عيوناً خلفه... نفض كريم الغبار الذي يملأ ملابسه بفعل استلقائه على السطح، دخل دورة المياه.. غسل وجهه، أصلح هندامه ثم ركب واحدة من سيارات الأجرة العائدة إلى محافظة البحر الأحمر، وقبل أن يركب فتح هاتفه الذي كان قد أغلقه قبل ذلك ثم أرسل رسالة إلى خاله يقول فيها "قل لأمي ألا تقلق، أنا فى الشقة.. لا يأتى أحد خلفي وإلا لن يعرف أحد لى طريق تلك المرة" ثم جاءه الرد من خاله وهو فى منتصف الطريق برسالة أخرى "اذهب أينما تريد لا يرغب بك أحد".

حينما قابل "رغدة" بعد ذلك قالت له "خالك وأمك كانا هنا.. يظنان أني أستدرجك، يظنان أني أنصب عليك.. ثم قالا الكثير من الكلام الذي لا يقال" حاول أن يهون عليها إلا أنها صدته، وشعر وهو واقف أمامها أن لها وجه آخر غير الذي عرفه، ناولته كيساً وقالت له "طريق السلامة.. لا تدعنا نراك مرة أخرى" حينما نظر فى ذلك الكيس وجد فيه الكيلو ونصف سمك اللذان علقهما أثناء حديثه الأول معها... على الجانب الآخر من الرصيف رأى "نادر التركي" ينظر إليهما ويضحك، أدار كريم ظهره ورحل.. والغريب فى الأمر أنه دون أن ينظر حتى.. شيء ما أوحى إليه وهو يسير مبتعداً أنها تقف على فرشها باكية.. أثناء

ذلك رق قلبه لها وأيقن لو أن له قلب مازال قادراً على الحب.. لأحبها. رحل وهو يفكر "لكم كانت وحيدة فى عالم قاسي وهمومها كثيرة.. لكم كانت جميلة وفاتنة" هي بالنسبة له لؤلؤة واللؤلؤة مكانها عقد ثمين أو تاج.. تلك لم يحدث لها أياً من ذلك وإنما تمرغت فى الهموم والقاذورات وعفر وجهها بالتراب، وألقي بها فى سوق من البني آدمين لا تفارقه روائح السمك.

فرض واقع جديد

فى الخامسة صباحاً استيقظ كريم كما أراد، أخذ حمامه، وارتدى ملابسه، وقد خرج من منزله وليس عليه ولا خطأ واحد من أخطاء الأيام السابقة.. لا ذقن نابتة ولا حذاء مترب ولا ملابس غير مهندمة. أمامه متسع من الوقت وليس يهرول فى مشيه أو يتعجل.. وحينما وصل إلى عمله كانت الساعة تقارب السادسة والنصف صباحاً وهو وقت ليس يصل فيه أياً من زملاء نوبته.. أول شيء فعله عند دخوله المطبخ هو أنه جذب تروللي وراح يحمل عليه كل ما يحتاجه من خضار: طماطم، وكوسة، وباذنجان، وبروكلي، وقرنبيط، وكرنب أبيض، وكرنب أحمر، وبطاطس، وفاصوليا خضراء، وفلفل أخضر، وفلفل ألوان، والبصل. جذب تروليه المحمل بكل تلك الأشياء وتوجه إلى غرفة التجهيز وليس فيها أحد. قام بتعبئة ماكينة التنظيف بالماء ثم ألقى داخلها كل ما جلبه من بطاطس، ثم قام بتعبئة الحوض الأوسط من الأحواض الثلاثة الخاصة بالغسيل إلى أربعون لتراً، ألقى به ثمانية من أقراص الغسيل المطهرة، ثم راح يغسل الخضار الذي جلبه.. كل نوع على حدة بمراحل الغسيل الثلاثة المعتادة، وحينما انتهى منهم أودعهم أسفل الكونتر إلى جانبه، وجذب البطاطس من ماكينة الغسيل وألقى

بها إلى ماكينة التقشير. جلب سكين ولوح تقطيع وراح يعمل بجدية ولائحة الطعام معلقة أمامه. وفى خلال ساعتين فقط كان قد أنهى كل الأشياء الهامة ولم يترك لحسن والعراقي إلا قليل من الأمور التى يعدها تافهة. لم يكد يجلس بعد ذلك وفى يده كوب من الشاي حتى علم أن أحد شيفات النوبة الصباحية الذين يعملون فى قسم السخن لم يأتي، حينها التمعت فى ذهنه فكرة... ألقى كوب الشاي -ذات الإستخدام الواحد- من يده إلى أقرب سلة مهملات ثم دخل على الشيف المسئول داخل قسم السخن وإسمه "صالح"، رآه منهكاً ويبدو عليه أنه يتولى كل شيء وحده، أوحى مظهره أنه فى حاجة إلى مساعدة.. قال له كريم "أنا معك" نظر "صالح" إليه باستصغار وقد ود لو يقول "اجري العب بعيد يابابا" الغريب أن هذا لم يحدث، ووجده كريم يقول له "اركب على الشغل إذاً يابطل... معك الأرز، والبطاطس الجريتان، والبشاميل، والفراخ الروستو" سمع كريم الأمر منه ثم راح ينفذ، وقف على مربع الأرز وقد كان أرز اليوم أرز أبيض بالخضار.. ألقى داخله قليل من الزيت وتناول الأرز من على الحوض بجانبه وقد نقعه صالح مسبقاً وقام بتصفيته، نزل به داخل المربع وبعد وقت من التقليب نزل عليه بالملح وورق اللوري والماجي والماء المغلي الذي جلبه من الأستيم.. أغلق مربع الأرز وأحكم إغلاقه، سأل صالح عن البطاطس فقال

له هاهي، وحينما نظر حيث أشار رآها بالفعل مقطعة شرائح عريضة ومسلوقة نصف سلقة، أخذها ووضعها فى ثلاثة سفنديشات وركنها جانباً. كذلك المكرونة وجدها جاهزة ومسلوقة نصف سلقة، جلب لها كيلو إلا ربع لحمة مفرومة من قسم الجزار أعدها فى حلة على النار ثم أضافها إليها وجهزهم فى ثلاثة سفنديشات أخرى وتركهم إلى جانب البطاطس. نظر إليه صالح فرآه يعمل بكل طاقته وينجز العمل الموكل إليه فى أقصر وقت ممكن، جلب كريم حلتان كبيرتان ورفعهما على النار وضع فى الأولى ماء مغلي وخضار الأرز، أما الثانية فألقى فيها نصف قالب زبدة على نار هادئة وقام بتقليبها حتى ساحت ثم أضاف إليها قليل من دقيق القمح وراح يقلب حتى امتزج بالزبدة ثم نثر عليه قليلاً قليلاً باللبن وكريمة الطهي وراح يقلب بالمضرب حتى امتزجت المكونات وثقلت ثقلاً معقولاً ثم وضع قليل من الملح والفلفل الأبيض، وبعد أن اطمئن من أن صوص البشاميل صار جاهزاً أطفأ النار عليه وتركه ليهدأ. ثم أخذ خضار الأرز وكان قد استوى والأرز كذلك فى المربع استوى، نزل بالخضار على الأرز والذي هو عبارة عن: جذر مقطع تقطيعاً صغيراً، وبسلة، وفاصوليا حمراء، وذرة حلوة. وأخذ يقلب.. وهكذا يكون قد انتهى من الأرز. ثم عاد إلى صوص البشاميل والذي -بطبيعة الحال- كان قد هدأ قليلاً، أمسك بالحلة وراح يسكب

الصوص منها على كل سفنديشات البطاطس والمكرونة، ثم أودعهم جميعاً فى الفرن وأخرجهم عند تمام التسوية. وقد كان كلما ينهي شيئاً يأتي صالح يتذوق خلفه وينظر ثم لا يقول شيئاً. ذهب كريم إلى قسم الجزار مرة أخرى وجاء معه بالفراخ وقد كانت منقوعة فى التتبيلة منذ يوم أمس، رتبها فى سفنديشات هي الأخرى وأدخلها الفرن بعد أن أخرج منه المكرونة البشاميل والبطاطس الجريتان. ثم راح يلتقط أنفاسه وعينه على الفرن لا تفارقها.. فى تلك الأثناء سمع كلمة "الله ينور.. ياشيف" وحينما نظر إلى مصدر الصوت رأى الذي يتحدث هو الشيف عاصم "الشيف العمومي" حينها تقدم "صالح" وضع يده على كتف كريم وسأل "ما هو بوزيشنك يا شيف؟" أجابه كريم "طباخ أول" قال له صالح بصوت غير خفيض "أنت تستحق بوزيشن رئيس قسم" وقد قصد بذلك أن يصل كلامه إلى مسمع الشيف العمومي، وبينما هم واقفون تقدم إليهم الشيف العراقي إلى جانب حسن وكل شيفات وردية منتصف اليوم، راح "العراقي" يسعل بشدة فى منديل يحمله بيده، وآثار البرد ظاهرة عليه وليست تخفى على أحد. قال العراقي إلى الشيف عاصم "صباح الخير ياريس" رد الشيف عاصم تحيته بتحية أخرى ثم سأله العراقي "من الذي أنهى كل ذلك الشغل فى قسم التجهيز؟" لم يعلم الشيف عاصم أي شغل بالتحديد يتحدث العراقي عنه.. أجاب

كريم من حيث يقف "أنا الذي أنهيت الشغل ياشيف عراقي.. وقد تركت لك البصل والبطاطس وخضار ملفوف الربيع (spring roll) فغداً هو يوم الصيني كما تعلم" حينها التفت العراقي إلى كريم والتفت إليه حسن.. سأله العراقي "ماذا تفعل عندك يا كريم؟" أجابه كريم "أعد وجبة الغداء ياشيف" سأله العراقي مستهزءاً "وستعرف كيف تفعل ذلك؟" حينها هم صالح ليجيب وهم كريم ليجيب إلا أن الذي تحدث هو الشيف عاصم، وجه كلامه إلى العراقي وقال "يبدو أنك لا تعرف إلى من تتحدث ياعراقي.. الرجل أنهى عملك وعمل صالح فى ساعتين.. الشغل الذي يأخذ منكم جميعاً عمل نصف يوم " حينها وجموا جميعاً، ووقف كريم وليس قدماه يحملانه، وليست الأرض تسع له، شعر من شدة فخره بنفسه كما لو صارت له أجنحة فهو الآن يطير بها بينهم، فرح فرحاً كبيراً إذ أيقن أنه منذ الآن سينال التقدير الذي يستحقه... وسيعاملونه -حسبما يظن- معاملة الطهاة الكبار.

صدام داخل المطبخ

صباح اليوم التالي كان ثلاثتهم متواجدون داخل غرفة التجهيز يعملون معاً؛ كريم وحسن والشيف العراقي، راح العراقي يقول مازحاً موجهاً حديثه إلى حسن "تدري يا حسن صار الشيف يعطينا أوامر الآن" وكان يقصد كريم بكلامه.

حسن: كيف ذلك؟

العراقي: ألم ترى ما حدث البارحة؟

حسن: وما حدث البارحة ياعم عراقي؟

العراقي: ويحك ألم تكن موجوداً؟... لقد وقف الشيف "كريم" أمامي وأمامك فى وجود الشيف "صالح" والشيف "عاصم" وكلهم تقريباً، رفع يده فى وجهي وقال معك كذا وكذا وكذا... الشيف يعطيني أوامر. "قال العراقي ذلك وهو ينظر بطرف عينه ناحية كريم"

حسن: لا بأس ياعم عراقي فكلنا أبنائك كما تعلم.. وعلى العموم لو ضايقك هذا الأمر أعتقد أن على كريم أن يعتذر لك وتنقضي تلك المسألة إلى الأبد.

ثم نظرا إلى كريم.. حسن والعراقي فى إنتظار رده، نظر كريم بدوره إليهما، وقال: تعلما.. لست مجبراً على أي اعتذار، فإن يوم البارحة ذاك قد عملت فيه بجد، هو يومي واستحققت أن أنال فيه ما نلته من ثناء، ثم إني يومها أنهيت تسعون فى المائة من العمل ما أراحكما.. لذا لما لستما مرتاحان؟.

أجاب حسن: أنا عن نفسي مرتاح أشد ما تكون الراحة.

كريم: جيد.

العراقي: إذاً لن تعتذر؟

كريم: أعتذر؟... يوم البارحة ياعم العراقي لم تعمل أنت سوى نصف يوم بسبب ما فعلته أنا وكذلك حسن مثلك.. وأنتما إلى الآن حتى لم تشكراني.. يجب أن تكونا ممتنان لما فعلته وليس العكس.

أثار كلامه غيظ الشيف "العراقي" لذلك صفعه صفعة خفيفة على مؤخرة رأسه كما كان معتاداً أن يفعل معه من قبل، لم يتقبلها كريم وقال "لا تفعل ذلك مرة ثانية" سأله العراقي "لا أفعل ماذا؟" أجابه كريم وقد ظهر غضبه فى صوته "لا تهرج معي مستخدماً يدك ياعم عراقي.. إذا أردت أن تحفظ القدر القليل من الإحترام المتبقي لك عندي، أرجوك ألا تفعل هكذا فعلة مرة ثانية" حينها ابتسم الشيف العراقي وانتبه إليهما

حسن وترك ما كان يفعله، قال العراقي "ماذا؟.. هل صرت رجلاً علينا الآن؟" ثم مد العراقي يده إلى عضو كريم الذكري يريد إمساكه بغرض المزاح فلم يجد شيئاً.. قال العراقي مستغرباً "ما هذا لا يوجد شيء؟" حينها صرخ كريم فى وجهه، ودفعه دفعة قاسية تركته على الأرض.. شعر كريم أن العراقي فعل شيئاً ليس من حقه فعله، كما أنه بطريقة أو أخرى أعاد إليه إحساسه الذي يراوده فى الأوقات الصعبة؛ إحساس أنه عاري تماماً أمام الناس وليس يرتدي شيء. لقد قبض الشيف العراقي على عضوه الذكري بنفس الطريقة التى قبضت بها شهرزاد عليه فى كابوسه. والنتيجة فى حلمه وواقعه واحدة، قبضة تمسك بالعدم تتبعها فضيحة تنتشر فى كل مكان.. سيرة الرجل الذي ليس برجل. لم تكفي كريم الدفعة التى وجهها إلى العراقي لذلك هجم عليه وأراد ضربه وكذلك فعل العراقي حينما نهض، نجح حسن بشكل ما فى التفريق بينهما إلا أن الأوان كان قد فات، فلقد تبادلا الشتائم والسباب بكثرة، وعلا صوتهما حتى عم كل ردهات المطبخ وأقسامه.

أول من وصل إليهما هو الشيف "صالح" سأل: من يتعارك.

أجابه حسن: كريم والشيف العراقي؟

صالح: لما ؟

لم يجيبه أحد.. لذلك قال: ثلاثتكم مطلوبين لدى الشيف العمومي.

قفذ حسن معترضاً وأشاح بيده: ولماذا ثلاثتنا؟ ماذنبي أنا؟

لم يعره "صالح" إهتماماً وأشار إليهم جميعا "إلى المكتب" أخذهم واقتادهم إلى هناك.. ظلوا واقفون لمدة خمس دقائق قبل أن يأتي الشيف "عاصم" جلس على كرسيه وكانوا جميعاً واقفون أمامه، نظر إليهم وسأل: ها.. ماذا حدث؟

راح ثلاثتهم يتحدثون فى الوقت نفسه، أشار إليهم بيده ليصمتوا فأذعنوا له، دخل الشيف "صبحي" من الباب وقال موجهاً كلامه إلى الشيف عاصم بعد أن جلس "لقد انتهيت من مراجعة الكاميرات فى غرفة التجهيز ورأيت كل ما حدث" قال الشيف عاصم: عظيم.. والآن أخبرني أنت ماحدث. ثم أشار إلى كريم وهو أولهم من ناحية اليمين.

كريم: الشيف العراقي يهرج مستخدماً يده، يصفعني على رأسي فى وجود حسن، أخبرته أكثر من مرة ألا يفعل هكذا فعلة، لكنه لا يستمع.

نظر الشيف "عاصم" إلى الشيف "صبحي" وسأله: هل فى الكاميرات شيء كهذا.

صبحي: نعم.

ثم نظر إلى حسن الواقف إلى أقصى اليسار وسأله: ما يقوله كريم..

حصل؟

حسن: نعم حصل.

ثم وجه الشيف "عاصم" كرسيه إلى "العراقي" وسأله: ماذا حدث يا عراقي؟

قال العراقي: الشيف كريم لا يستمع إلى أي شيء أقوله يا شيف عاصم، لا ينفذ الأوامر ويتلكأ فى تنفيذها، كما أنه يظهر لى عدم الإحترام.. كريم ببساطة لا يحترم... لا فارق السن ولا البوزيشن.

نظر الشيف "عاصم" إلى كريم وسأله: ماردك على هذا الكلام؟

قال كريم: يكذب..

العراقي: تأدب.

الشيف عاصم "موجهاً الكلام إليهما": كفى.

كريم: الشيف عراقي يلومني على ما أنجزته بالأمس، العمل الذي أنجزته بنفسي لم يشكرني عليه وحدث العكس.. يقول أني أتحايل عليه لكي أعطيه أوامر، وأني بدلاً من ذلك يجب أن أعتذر.. وحينما رفضت الإعتذار راح يهرج مستخدماً يده.

نظر الشيف "عاصم" إلى "حسن" وكان واقفاً أقسى اليسار، قال:

تلك شهادة حق..

حسن: أكيد.

عاصم: وما ستقوله الآن سيؤخذ عليك، كما أننا راجعنا الكاميرات ونعرف كل شيء.

حسن: تمام.

عاصم: أي كلام فيهما أقرب إلى الحقيقة.

أجابه حسن "بلا تفكير": كلام كريم هو الأقرب إلى الحقيقة.

طلب الشيف "عاصم" منهم جميعاً الخروج من المكتب وأن يتركوا له الشيف "العراقي" وعند خروجهم سمعوه يصرخ بحرقة، إستمر صراخه فى وجه العراقي لمدة ربع ساعة كاملة قبل أن يدعه يخرج. بعد ذلك انتشر خبر أن الشيف "عاصم" كان ينوي أن يجازيه بشدة إلا أنه تراجع عن ذلك لأجل أن له أبناء، واكتفى بالزعيق، والتحذير.

نهاية الشيف العراقي

بعد المشكلة التى حدثت لم يسمح للعراقي وكريم بأن يعملا معاً مرة ثانية، تم سحب كريم من غرفة التجهيز وجعلوه مع الشيف "صالح" فى قسم السخن، وهو ما اعتبره "العراقي" فعل قبيح فى حقه وزاد من حنقه على كريم، فإنه معروف دائماً أن السخن يعمل به الشيفات الأكثر خبرة، عكس غرفة التجهيز التى يرسلون إليها أقل الشيفات خبرة للعمل داخلها. دفعت تلك النقلة "كريم" إلى أن يعمل بكامل طاقته وتركيزه وقد أعتبرها فرصة كبيرة يثبت بها نفسه، وضع "صالح" عينه عليه منذ يومه الأول معه، وأخذ بطول بال وإحتواء يصحح له أخطاءه ويرشده إلى الطريقة الصحيحة للعمل، قال له "العمل فى المطبخ لا يعتمد على الحفظ فقط.. يجب أن تفهم" لدى الشيف "صالح" خبرة خمسة عشر عاماً فى المجال، ووجوده إلى جانب كريم، ومساندته له بهذا الشكل كانا أكثر مما يستطيع طلبه، لذلك شعر ناحيته بالامتنان. وأثناء عمل كريم فى يوم وجد منديلاً داخل خضار الشربة القادم من غرفة التجهيز، استدعى الشيف "صالح" وأراه المنديل، أمسك "صالح" به فوجد مخلفات إستخدام بشري داخله. استدعى "صالح" الشيف "صبحي" واستدعى كذلك الشيف "العراقي" وعند سؤاله أنكر العراقي أي صلة

له بذلك المنديل، قال "هذا الشيء لم يخرج من تحت يدي" راجع الشيف "صبحي" الكاميرات بعد ذلك ثم جاء بهم جميعاً؛ العراقي، وصالح، واستدعى الشيف عاصم كذلك. ثم رفع هاتفه وعرض عليهم مقطعاً مصوراً صوت وصورة جلبه معه من غرفة الكاميرات، وحينما نظروا رأوا جميعا "العراقي" وهو يستخدم المنديل ذاته أكثر من مرة وهو يعمل، وفى النهاية بعد أن أنجز تقطيع خضار الشربة نسي المنديل داخله ثم دون أن يدري أودع الخضار داخل الثلاجة، فظل موجوداً هناك حتى جاء كريم وأخذه ووجد فيه ما وجد. وجم العراقي أمامهم وراح ينكر.

لم يصدق أياً منهم ردة فعله واعتبروه معتوهاً، أن ينكر أنه هو صاحب ذلك المنديل وينكر أنه نسيه حينما وقع منه على الخضار وكل ذلك موثق أمامه صوت وصورة. اكتفى الشيف "عاصم" بتعنيفه أمامهم ثم أمر بالخضار أن يعدم ويتحمل "العراقي" ثمنه إضافةً إلى جزاء خصم ثلاثة أيام كاملين. حينما أنكر العراقي صلته بالمنديل والفيديو يعرض أمامه.. انفلتت من كريم -رغماً عنه- ضحكة عالية ضايقت العراقي جداً، وقد كانت تلك هي اللحظة التى شعر فيها كريم أن العراقي ربما يوشك على البكاء. تلك الضحكة بالذات لم ينساها العراقي لكريم رغم أنه وبمرور الأيام كان كريم قد نسي كل شيء حدث معه هو والعراقي، فلقد انشغل بالعمل مع الشيف "صالح" وضع كل جهده وتركيزه فى

العمل إلى درجة أنه لم يترك أي مساحة لديه للمشكلات والنزاعات داخل المطبخ، لقد نسي "العراقي" تماماً ولم يأتى فى باله ولو مرة واحدة أنه لازال يتربص له ويتحين اللحظة المناسبة ليسدد له الضربة التى تقسم ظهره. لم يفطن "كريم" لتلك النوايا المبيتة له عند العراقي خصوصاً وأنه تصافى معه فى الأيام التى تلت المشكلات الأخيرة بينهما، كان كريم لا يمر على غرفة التجهيز إلا بعد أن يلقي التحية على "العراقي" و"حسن"، وربما أيضاً تبادل معهما النكات حيناً قبل أن يتوجه إلى قسم السخن.. هي فترة لم يهتم فيها كريم إلا بالعمل. وبالنسبة للعراقي هي فترة لم يكن يهتم فيها إلا بكريم نفسه.. راح يحلل شخصيته، يتتبع حركاته، ويحصي عليه ساعات عمله وساعات راحته. حتى أنه حاول أن ينشر فى المطبخ إشاعة مفادها أن كريم ليس رجلاً حقيقياً، وليس يملك عضواً ذكرياً "على الأرجح هو مضطرب الهوية الجنسية" هكذا يقول لمن أمامه ثم يعكف -بغير علم- على شرح مصطلح إضطراب الهوية الجنسية ويضيف إلى سرديته أشياء من هنا وأشياء من هناك، لقد صار العراقي بروفيسيراً فى هذا الشأن بعد أن بحث عنه على محرك البحث جوجل كثير من المرات، وقرأ عنه أكثر من مقالة.. لقد كان يوجه جهده كله ووقته كله إلى شخص كريم، وجعل لنفسه أمنية واحدة هي الإيقاع به. يجلس إلى باقي الشيفات الزملاء حينما لا يكون "كريم" موجوداً ويقول "إن

هذا الولد ليس رجلاً حقيقياً.. ولدي الدليل، لقد مددت يدي عميقاً داخل بنطاله ولم أقبض على شيء" يسهب أمامهم فى الشرح ثم يضيف "إذا لم يكن يصدقني أحد.. فلتراجعوا كاميرات المراقبة بأنفسكم" كان صالح جالساً إلى جانبه مرة وهو يتفوه بتلك الأشياء، وبعد أن انتهى قال صالح له "هل حقاُ فعلت كل ذلك وهو يضربك؟ لقد سمعنا أن حسن استخلصك من تحت يديه بشق الأنفس" ثم نظر صالح إلى حسن وسأله "أليس كذلك يا حسن؟" أجاب حسن فى حضرة عدد كبير منهم "نعم صحيح" فأخذوا جميعاً يضحكون والعراقي فى وسطهم يكاد يجن من شدة القهر. لقد كان حاقداً، ناقص العقل، ومعتوهاً إلى أبعد حد؛ بتلك الصفات يعرفه زملاءه فى المطبخ. وفى يوم تلى كل تلك الأحداث جاء "حسن" مرة مسرعاً إلى "كريم"، وحينما سأله عما يحدث لم يجبيه "حسن" بأي شيء، واكتفى بأن جذبه من يده وذهب به إلى مربع الأرز الذي قام "كريم" منذ نصف ساعة فقط بإعداده، ثم قال لكريم "تذوق هذا الأرز" طاوعه كريم وتذوق فوجده شديد الملوحة. قال حسن "العراقي فعل ذلك.. وقتما خرجت أنت، جاء وأفرغ نصف كيس ملح كاملاً على الأرز، وقد حسب أن لا أحد يراه، ولكني رأيته ولم يفطن لى" سأل كريم صديقه حسن "ومتى فعل العراقي ذلك؟" أجاب حسن "منذ نصف ساعة فقط، حينها نظر كريم إلى ساعته وحسب الوقت الذي كان فيه

الشيف العراقي واقف مكانه حساباً دقيقاً ثم أخبر حسن ألا يأتي بسيرة أمام أحد.

...

مرت الساعات بسرعة عجيبة على ذلك الأرز، وضعوه فى عدد من السفنديشات، خرج إلى البوفيه المفتوح فى قاعة المطعم الرئيسي الفسيحة، ولأجل الحظ لم يذقه أحد فى ذلك اليوم، حتى تمام السابعة مساءً، وكان أول من دخل هو السيد "حازم القط" مدير عام الفندق.. أخذ طعامه، اختار طاولته بعناية، ومع أول ملعقة تناولها بدا وكأن الوقت قد توقف على كل المطبخ. استدعى المدير العام مدير المطعم، ومدير المطعم استدعى الشيف العمومي، والشيف العمومي استدعى كبار الطهاة، وكبار الطهاة استدعوا الشيف الذي قام باعداد الأرز وهو كريم، وكريم جذب صديقه حسن معه ليشهد وحكى لهم عما حدث من الشيف العراقي، رغم معرفتهم جميعاً بسلوك العراقي وغرابة أطواره إلا أنهم حينما سمعوا ما حدث من حسن وكريم بدوا كما لو كانوا جميعاً لا يصدقون.. قال الشيف "عاصم" أمامهم جميعا، وموجهاً كلامه إلى كريم "حينما علمتم أنه يفعل ذلك، لماذا التزمتم الصمت؟ كان من الممكن أن نعدم ذلك الأرز قبل أن يخرج!" أجابه كريم "لم أكن أعتقد أنه يفسده إلى هذا الحد ياريس.. ثم إني شيف أقل بوزيشن

ومعتاد من وقت للثاني أن يعمد الشيفات الكبار إلى شيء صنعته ويقوموا بالتعديل عليه.. وبما أن العراقي أكبر مني سناً وبوزيشن فقد حسبت أن هذا هو ما يفعله.. وليس شيء آخر" سأله "وفى أي ساعة حدث ذلك بالضبط؟" أجابه كريم "فى تمام السادسة وخمس وعشرون دقيقة" وفى خلال دقائق كانوا قد ضبطوه بالفعل متلبساً بفضل تسجيل الكاميرات، هم الشيف "عاصم" ليستدعيه إلا أن السيد "حازم القط" مدير عام الفندق رفض ذلك، وطلب أن يذهب الشيف "العراقي" إلى مكتب شئون العاملين من فوره ليستلم أوراقه ويفصل، وقد أقسم أمامهم جميعاً أن هذا الرجل "ليس يعمل هنا بعد الآن.. ولا ساعة واحدة بعد ذلك، حتى لو راجعني فيه من..."

فى خلال أقل من ساعة استلم العراقي أوراقه، ولملم سكاكينه الشخصية وأشياءه من خزانة الملابس، ثم جاء الخبر إلى الكريم أن العراقي كان يبحث عنه قبل أن يرحل كالمجنون، ولما علمت الإدارة ذلك أرسلوا إليه أفراد أمن ليقتادوه إلى البوابة.. بعد أيام من ذلك كان كلما رأى أحد كريم داخل المطبخ يبتسم فى وجهه ويقول له "مبروك" وحينما يسأل عن السبب يقولون "غريمك رحل" لقد أدرك مع مرور الأيام أن الكثير من الطهاة لم يكونوا يطيقون الشيف "العراقي" وهو ما جعلهم يقدرون "كريم" أكثر كونه هو الذي جاء بالضربة القاضية التى

خلصتهم منه، ثم جاء الخبر إليه أن اسمه موجوداً فى الترقيات المقررة فى شهر يوليو هذا العام، حصل على الترقية وتقدم درجة من "طباخ أول" إلى "مساعد رئيس قسم" أول من نقل له هذا الخبر هو الشيف "صالح" ثم قال له "مبارك.. تستحقها، لو استمررت معي على نفس أداءك هذا فإني أعدك أن تكون رئيس قسم فى أقل من عام" زادت كلماته من ثقة كريم فى نفسه ولم يحسبه كريم أنه يبعثر كلاماً فى الهواء، لأن الشيف "صالح" رجل يلتزم بكلامه، وإذا ما كان قد قالها فسينفذها.

كمين موقف السرفيز

انتقل "كريم" بعد ترقيته إلى الوردية الصباحية حيث يبدأ عمله فى الخامسة صباحاً، وينتهي فى الخامسة مساءً. وقد ناسبه ذلك جداً وشعر كما لو أن أصبح له متسع من الوقت أكثر من ذى قبل، وكما لو أن اليوم قد طال.. نزل الشيف "صالح" أجازة خمسة عشر يوماً وترك قسم السخن بالكامل تحت إدارة كريم بعدما مكنه من العمل تمكينا جيداً واطمئن إليه. كذلك ازدادت شعبيته داخل المطبخ وأصبح زملاءه فى كل الأقسام يعاملونه باحترام... ولقد اكتشف مؤخراً أن أيامه فى المطبخ من بعد رحيل "العراقي" باتت أيسر وأخف، رحل غريمه وأخذ معه كل شيء كرهه "كريم" فى المطبخ... فلكم كان غبياً وحاقداً، وبالنسبة له لم يظن "كريم" أنه يلقاه بعد ذلك أبداً، كانت الضربة التى وجهها إليه "كريم" فى يوم رحيله هي بمثابة الطلقة الأخيرة التى برأت بها روحه. فصار الإثنان فى عالمين مختلفين تمام الإختلاف؛ هذا فى عالم الأحياء، وهذا فى عالم الأموات. وهما لا يلتقيان -إن قدر لهما لقاء- إلا فى المنام. ولذلك لم يصدق كريم نفسه حينما قابل الشيف "العراقي" وجها لوجه فى موقف السرفيز، وبدا كمن رأى شبحاً.. وليس شبح واحد ذلك الذي رآه وإنما ثلاثة أشباح، فلقد كان إلى جانب "العراقي" إثنان من أبناء

عمومته، افترض كريم أنهم أبناء عمومته لمدى الشبه الكبير بينهما وبينه أو ربما هم إخوته، وفى ذلك اليوم اكتشف "كريم" أيضاً للمرة الأولى أن للعراقي هيئة مخيفة كان يداريها أسفل التوك والجاكت الأبيض.. إنه أقرب الناس شبهاً بالسياف الذي رآه كريم فى كابوسه، ثم وكأن سياف واحد ليس يكفي فيجلب معه العراقي اثنان آخران ليعينانه. ركض كريم حينما رأى أعينهم مسلطة عليه، ونواياهم ظاهرة على وجوههم البدينة. ركض.. ومن فرط خوفه لم يدري أنه يسلك طريقاً جانبياً مقطوعاً، رغم ضخامتهم تمكنوا من الوصول إليه، وفكر كريم حينها "يجيد الأوغاد الركض" أحاطوه ونزلوا فيه ضرباً ثم لما اطمئنوا إلى انتهاءه وأنه ليس يدفع عن نفسه، أمرهم "العراقي" بالتوقف وقال مرحباً "أهلاً يا كيمو.. ازيك؟" ثم وجه لكمة مغلولة إلى معدته جعلته يصرخ، أخرج "العراقي" هاتفاً ذكياً ثم ناوله إلى واحد من مرافقيه وقال "صور" فطاوعه الآخر دونما سؤال.. وجه "العراقي" كلامه إلى كريم وقال "لطالما قلت أنك لست رجلاً حقيقياً.. لم يصدقني أحد فى المطبخ، وأنا هنا اليوم سأثبت ذلك" اقترب منه "العراقي" وركع على الأرض إلى جانبه، قال "أبشر ياابن المحظوظة.. ستصير شائعاً (ترينـد)" وأخذ يسحب منه لباسه، ساعتها ردت لكريم روحه مرة أخرى وراح يقاوم بشراسة، لم تنفعه مقاومته إذ التموا حوله وكبلوه.. نجح "العراقي" فى

نزع ملابسه عنه ثم صرخ فجأة "ويلي... من أين جاء هذا؟" وحينما نظر "كريم" إلى حيث يشير "العراقي" وجد أن شيئه قد عاد إليه، ولم يشعر أنه عاد كما لم يشعر من قبل أنه اختفى... لقد بدا الأمر وكأنه كان محجوباً عنه وليس يستطيع رؤيته، أو ربما مسحوراً وانفك سحره. ولو أنه لم يلتمس فى نفسه وحياته تغيراً ملحوظاً، ولو أنه لم يضطر إلى التبول جالساً طوال شهر كامل حيث قد كان الماء كما البول يخرج من فتحة شرجه، ولولا نفوره وقلة انجذابه طوال كل تلك المدة من النساء.. لولا كل ذلك لقال أن الأمر كله لم يحدث أبداً، وهو الذي تخيله. لم يكد ينهي "العراقي" جملته حتى هجم عليه جمع من السواقين، بأسلحة عدة فى أيديهم بعضها قطع غيار سيارات قديمة، ركض العراقي وركض من معه. التم السواقون حول "كريم" ثم أوقفوه ووضعوا عليه ملابسه.. سأله أحدهم "لماذا يفعلون ذلك معك؟" أجاب "لا أدري" سأله آخر "تعرفهم؟" أجاب "لا لست أعرفهم" جاءه سؤال آخر من وسط الزحمة "هل نتصل لك بالنجدة؟.. الكاميرات هنا كثيرة وربما عرفوا من هم" قال كريم "لا" جاءه نفس الصوت وهو لا يدري موقعه من الزحمة "ولكنهم ضربوك!" قال كريم "أنا مسرور أنهم ضربوني" ثم شيئاً فشيئاً انفضوا عنه، ولفرط غرابة إجابته الأخيرة حسبوه جباناً أو مجنونا... أو ربما جائته ضربة على رأسه أفقدته صوابه. نفى هو كل ذلك ورفض أن

يذهب إلى المستشفى أو إلى أي عيادة قريبة حينما عرضوا عليه ذلك. اغتسل من حنفية ماء قريبة فى مقهى ملاصق للموقف، وحينما نظر إلى مرآة بجانبها فاجأه أنهم لم يلمسوا وجهه تقريباً، وضربوه بدلاً من ذلك على مناطق متفرقة من جسده. أخذ طريقه إلى منزله، وفى طريقه لفت نظره أن فرش "رغدة" لم يعد موجوداً فى مكانه. وحينما سأل أخبرته امرأة تجلس على مقربة من هناك أن زوجها قد عاد وردها إليه. قالت مهللة "حدث ذلك منذ خمسة أيام... ليتك كنت رأيت ما حدث، لقد جاء ووقف أمام فرشها ونحن لا ندري من هو.. بدا الرجل المسكين ضعيف جداً ومنهك جدا، الغربة وعلى ما يبدو أهلكته.. راح يبكي وراحت تبكي ثم احتضنا بعضهما أمامنا، وأخذت "رغدة" تزغرد وأخذت أنا لما عرفت من هو أزغرد" صمتت قليلاً ثم قالت "ولكن الحق يقال ياابني رغم بهدلة الغربة إلا أنه شابا لا زال يستقبل الحياة.. وسبحان الله جميل مثلها، وكأنما قد خلقا لبعض"

ثم قالت "أنا أعرفك.. ألست أنت قريبها الذي كنت تجلس إلى جانبها، كانت تقول عنك أنك قريبها.. كيف لا تعرف أن زوجها قد عاد؟"

أجابها كريم "بلى أعرف.. ولكني لم أكن أظن أنها لا تعود إلى بيع السمك"

قالت المرأة "لا تحتاج إلى ذلك الآن.. فلقد عاد إليها رجلها".

تركها كريم وعاد مرة ثانية يسير إلى منزله، راح يفكر فى صديقه "حسام رمضان" فلقد انقطعت أخباره عنه بشكل كامل منذ تسعة وعشرون يوماً، لم يعد يرد على هاتف ولا رسائل ولا أي شيء، وكريم لا يعرف عنه إلا عنوان بريده الإلكتروني ورقم هاتفه.. ليس يعرف له أهل، ولا يعرف أين يسكن، لم يكن يسأله عن تلك الأشياء لأنه يحب أن يحفظ خصوصية الناس بنفس الطريقة التى يحب أن يحفظ الناس له بها خصوصيته.. لم يسأله لأنه لم يشأ أن يسأله حسام أسئلة مماثلة.. والآن يلوم نفسه. ترى؟ هل خاض "حسام" اختباره كما خاضه كريم؟ أم أنه تاه فى دروب أخرى ومجاهل.. استسلم وانتحر كما كان يتمنى كريم أن يفعل فى نفسه منذ البداية!.. أم قرر أن ينسى مستعيناً على ذلك بالمخدرات حيناً وبالتغافل أحيان أخرى؟ وإذا لم تقومه التجربة وتعدل من اعوجاجه؛ هل يعود إليه شيئه؟ أم أن اختباره يطول؟!

لا يدري كريم أي شيء من هذا، الذي يدريه أنه استعاد شيئه وهذا يعني إليه الكثير... جلس فى غرفته وراحت أفكار من هذا القبيل تعصف برأسه أشكال وأشكال. فكر فى "رغدة" أخذه إليها الحنين.. ازدادت الحرارة فى جسده، كثر اضطرابه، ودق قلبه. ولكن مهلاً! إن هذا منذ البداية هو سبب انتكاسته. فلقد عاد الشيء وعادت معه أشياء

أخرى عديدة.. وان لم يأخذ حذره فستعاد عليه مرة ثانية كل المآسي. تلك معركة جديدة يعلم أنه سيخوضها بينه وبين نفسه.. معركة أصعب من كل المعارك التى خاضها فى حياته وأشد. فلقد سلك طرقاً وعرة منذ فقد رغبته، وحقق أشياء ما كان -فى كل حياته- ليحلم أنه يحققها.. انصلح حاله، واكتسب قوة، وذكاء، وشخصية، وعلم، وتعاظمت ثقته فى نفسه.. أما الآن وقد عاد إلى سيرته الأولى فإنه يشعر كما لو أن الاعتدال شاق والتفوق درب من دروب المستحيل، يشعر أنه لو سقط تلك المرة فى وحل رغباته ونزواته ليس ينجو وليس يقوم. "رغدة" عاد إليها زوجها وان حاول التودد إليها الآن ستلوم عليه وستنكره.. المومس التى كان من المفترض أن يقابلها منذ ثلاثون يوماً لازال رقمها معه، أخرج هاتفه.. استدعى الرقم أمامه وراح ينظر إليه لمدة خمس دقائق، كاد أكثر من مرة أن يطلبه إلا أنه -وبعد تفكير مطول- تغلب على شيطانه وقرر أن يحذفه... ولما حذف الرقم التمعت فى ذهنه فكرة "لماذا لا أتجوز؟" إن هذ من شأنه أن يقيد انفلاته على نحو واسع، وهو إلى جانب شعوره بأهمية ما حققه طوال ثلاثون يوماً مضوا يشكلان حاجزاً بينه وبين السقوط فى بئر من النزوات لا قرار له. كما أنه ظل يقارن بين حياته -فى كل جوانبها- ماقبل الكارثة وبعد، وهذا وحده كافياً له، وأعطاه أفضل جواب. أسفل غطاء الهاتف كان قد أودع

صورة لخطيبته "سلمى" منذ زمن ونسيها، أخرجها ونظر إليها، وقرر أنه سيقابلها الآن، ولكن أولاً سيخطب ودها بمكالمة على الهاتف.. وستتفهم.. طيبة وستتفهم.. يعلم هو أنها ستتفهم.

..بحمد الله تعالى

تـــــمـــــت

تعريف بالكاتب:

أحمد سالمان إسماعيل محمد

أحمد ابوسيف "إنتساباً للعائلة"

كاتب مصري مواليد الخامس من يوليو عام ١٩٩٩م

له من الأعمال المنشورة رواية "حديث القرية" والمجموعة القصصية "زمن لا يصلح للخلفة" لدى المكتبة العربية للنشر والتوزيع. وله رواية "لعنة كتاب" ورواية "طيف المعمداني" وكتاب "زعيم القبيلة" لدى دار الزيات للنشر والتوزيع. وكذلك كتاب "شيء للكتب" لدى مسار للنشر والتوزيع.. إضافة إلى روايته تلك "صندوق اللا شيء" إلى جانب العديد من الأعمال الأخرى.